

الحسن القصصى

فى

أشعار الهذليين

الدكتور

عبد الناصر محمد السعيد

الطبعة الأولى ١٩٩٨





﴿تقديم﴾

ظل هذا العنوان (الحس القصصى فى أشعار الهذليين) يطار دنى لسنوات عديدة ، وأصرف الذهن عنه ، ويلج فى المطاردة كلما قرأت شعراً للهذليين ، يرثى فيه الشاعر ، أو يبكى أو يتغزل فى محبوبته ، أو يشكو الهجر ويبت الشوق ، أو يبكى غائباً ، ومع ذلك ، ومع خصوصية هذه الموضوعات ، يعرج الشاعر على قصة من القصص لحمار أو ثور أو إنسان ، أو ما شابه ذلك ، يعطى له سمات معينة من العزة والمنعة أو التخيبط والضياع ، يقاوم عدواً له سمات معينة أيضاً ، وتطول هذه المقاومة لتنتهى الحياة كما يريد الشاعر ، أو كما يريد الموضوع الذى يتناوله .

ومن هنا أقبلت على الموضوع بعد أن تركت عندى عدة ظواهر تستحق الدراسة ، وكنت أحسب أن القصة الشعرية غير موجودة ، أو أننى سألقى كثيراً من العنت والمشقة حتى أرسم صورة للقصة الشعرية عند الهذليين .

فوجود القصة عموماً فى أدبنا العربى الجاهلى والإسلامى

لا تحظى بالتأييد والمواقفة ، أو تحظى بذلك مع قليل من الحماس وكثير من الفتور ، ولكني وجدت جُلّ الكتاب الذين كتبوا عن الشعراء الصعاليك قد تحدثوا عن هذه الظاهرة وخصوا صعاليك هذيل ، بل شعراء هذيل عامة ، وليس الصعاليك منها فقط .

تعرض لذلك الدكتور / يوسف خليف في كتابه ' الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ' تحت عنوان ' القصصية ' مشيراً إلى أن شعر الصعاليك في مجموعته شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي ، ثم أشار إلى أن هذه الظاهرة تتجاوز دائرة الصعلكة إلى شعر هذيل .

وقد تعرض الدكتور عبد الحليم حفنى في كتابه ' شعر الصعاليك ' منهجه وخصائصه ' مؤكداً على أن اللذين أسفوا القصة في شعرنا العربى ووصلوا بها إلى مستوى القصة الكاملة إنما هم الصعاليك . وأن الظاهرة ليست خاصة بالصعاليك وإنما تتعداهم إلى غيرهم من شعراء هذيل . ولم يكتف الدكتور / عبد الحليم حفنى برصد هذه الظاهرة في شعر الهذليين ، ولكنه أشار إلى وجود معالم القصة من وصف وحوار وتحليل نفسى ، وهو أدل على تأصل الاتجاه القصصى في شعرهم لأن الشاعر فيه

متعمد خلق الموضوع .

وأما وجود العناصر القصصية في القصة الجاهلية فقد سبق هذا البحث بدراسات في هذا المجال . منها على سبيل المثال : دراسة الدكتور علي عبد الحليم محمود . تحت عنوان " القصة العربية في العصر الجاهلي " والتي أكد فيها على أن ما تعارف عليه النقاد من خصائص تطبع كل قصة بطابعها ، ويتحتم وجودها في كل عمل قصصي ، موجود في القصة الجاهلية من حدث وسرد وبناء وشخصية وزمان ومكان وفكرة .

ومنها أيضاً تلك الدراسة التي قامت بها الدكتورة / مى يوسف خليف تحت عنوان : العناصر القصصية في الشعر الجاهلي ، ودراستها الثانية في هذا المجال تحت عنوان " بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي .

ومن هنا كانت دراستي لأشعار الهذليين ، محاولاً تلمس القصة ووجودها في أشعارهم ، وتجليه العناصر القصصية فيها .

وقد بدأت بما بدأ به ديوان الهذليين ، بدأت بأشعر شعراء هذيل غير مدافع - بدأت بأبي ذؤيب الهذلي . والله الموفق

الدكتور : عبد الناصر محمد السيد

أبو غلا



قصص أبي ذؤيب الهذلي^(١)

وأول ما بطالنا في الديوان من المراثي تلك المراثية الرائعة التي تعد من عيون الشعر العربي وهي مراثية أبي ذؤيب لأولاده ومطلعها :-

أمن المنون وريتها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
وبعد أن أفرغ شحنة الحزن التي تعتمل في داخله ، ووضح

١- هو خويلد بن خالد بن محرت بن زيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ، وأخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن مضر بن نزار ، جاهلي إسلامي ، كان رواية لمساعدة بن جوية الهذلي ، وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات . ترجم له صاحب الأغاني في الجزء السادس ، فنقل رأي ابن سلام فيه فقال : كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لاغميزة فيه ولا وهن . وساق شهادة حسان بن ثابت عندما سئل : من أشعر الناس ؟ قال : حيا أم رجلا ؟ قالوا : حيا . قال : أشعر الناس حيا هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . اختار له أبو زيد القرشي في كتابه " جمهرة أشعار العرب " قصيدته العينية ، وجعله في أصحاب المراثي . جمهرة أشعار العرب ، ص ٥٣٤ . وقد جعله محمد بن سلام الجمحي في كتابه " طبقات فحول الشعراء " مع نابغة بني جعدة ، والشماخ ولييد . (طبقات

فحول الشعراء ، ص ١٢٣ ، ج ١ .

للشامتين تجلده وتماسكه :-

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

بعد ذلك كله لجأ إلى سوق القصة تلو القصة ، للتأسي والتصير مصدراً

كل قصة بالبداية التقليدية " والدهر لا يبقى على حدثانه " .

القصة الأولى

﴿جون السراة﴾

• النص :-

جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ
عَبْدُ لَّالِ أَبِي رَيْعَةَ مُسَبِّعُ
مِثْلُ الْقِنَاةِ وَأَزَعَلَتْهُ الْأَمْرَعُ
وَاهٍ فَأَتَجَمَّ بَرَهَةً لَا يَقْلَعُ
فِي جَدِّ حِينَا فِي الْعِلَاجِ وَيَشْمَعُ
وَبَأَى حِينَ مَلَاوَةٍ تَنْقُطِعُ
شَوْمٌ وَأَقْبَلَ حِينَهُ يَتَّبِعُ
بِشْرٌ وَعَانَدَهُ طَرِيقٌ مَهِيْعُ
وَأُولَاتُ ذِي الْعَرْجَاءِ نَهَبَ مُجْمَعُ
يَسْرُ يُفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
فِي الْكَفِّ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَضْلَعُ
رَابِعُ الضَّرْبَاءِ فَوْقَ النِّظْمِ لَا يَتَلَمَّعُ
حَصْبُ الْبَطَاحِ تَغِيْبُ فِيهِ الْأَكْرَعُ

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ
صَحْبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ
أَكَلَ الْجَمِيمِ وَطَاوَعَتْهُ سَمَحَجُ
بِقَرَارِ قِيْعَانٍ سَقَاهَا وَابِلُ
فَلَبَثْنَا حِينَا يَعْثُلُجْنُ بِرَوْضَةٍ
حَتَّى إِذَا جَزَرَتْ مِيَاهُ رَزْوَنِهِ
ذَكَرَ الْوُرُودَ بِهَا وَشَاقَى أَمْرِهِ
فَافْتَنَهُنَّ مِنَ السَّوَاءِ وَمَاؤُهُ
فَكَأَنَّهُمَا بِالْجَزْعِ بَيْنَ "يَنَابِعِ"
وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابِيَّةٌ وَكَأَنَّهُ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مَدُوسٌ مَتَقَلِّبُ
فَوُرْدَنَ وَالْعَيْشُوقُ مَقْعَدُ
فَشَرَعْنَ فِي حَجَرَاتٍ عَذْبٍ بَارِدِ

فشربن ثم سمن حسا دونه
وعيمية من قانض متلبب
فنكرنه فنفرن وامرست به
فرمى فأنفذ من نجود عائط
فبداله أقراب هذا رائغا
فرمى فألق صاعديا مطحرا
فأبدهن حتوفهن فهارب
يعثرن في حد الظبات كأنما
شرف الحجاب ورب قرع يقرع
في كفه جشء أجش وأقطع
سطعاء هادية وهاد جرشع
سهما فخر وريشه متصممع
عجلا فعيث في الكنانة يرجع
بالكشح فاشتملت عليه الأضلع
بذمائه أو بارك متجعجع
كسيت برود "بنى يزيد" الأذرع" (١)

• رؤية لغوية :-

لا يبقى على حدثان الدهر جون السراة ، الجون : الأسود ،
والأنثى جونة ، (لسان العرب مادة جون) وكذلك الجون :
الأبيض ، والجون : الأحمر والجمع جون ، والسراة أعلى الظهر ،
له جدائد : له أتن ، والجدد جمع جدود ، والجدود : التي خف
لبنها.

جون السراة هذا صخب الشوارب ، يحرك شواربه كثيراً
بالنهيق والغناء .

يعيش عيشة هائلة وادعة ، أكله الجميم ^(١) أكله كثير متوفر ، وإنائه طوال مثل القناة ، وقد طاوعه ، وسرن على هواه وأزعته الأمرع ^(٢) ، يتنزل على هذه القيعان مطر شديد دام لا يقلع لبرهة حتى ارتوت الأرض .. وسط هذا الخصب والمرعى والمطر مكث البطل مع أخته يعتلجن ^(٣) بروضة ، الإناث يتضاربن ويعض بعضهن بعضا ، والذكر يلعب ^(٤) معهن أحيانا ، ويتصنع الجد أحيانا أخرى .

ودوام الحال من المحال . تأتي اللوحة الثانية في القصيدة ، أو تصاعد الأحداث وتطورها في القصيدة ، فإذا بالمياه تتناقص (حتى

- ١- الجميم : النبات الكثير ، قال أبو حنيفة : هو أن ينهض وينتشر ، وقيل إذا ارتفعت البهيم عن البارض قليلا فهو جميم (لسان العرب مادة جمم) .
- ٢- أزعله : الزعل : النشاط (لسان العرب مادة زعل) والمرع : الكلاء والجمع أمرع .
- ٣- اعتلجت الوحش : تضاربت وتمارست (لسان العرب مادة علج) .
- ٤- يشمع : رجل شموع : لعب ضحكوك . ويشمع : يلعب (لسان العرب مادة شمع) .

إذا جزرت مياه رزونه (١) لقد تناقصت المياه ، وعادت مع تناقصها ذكرى مؤلمة ، ذكرى رحلات سابقة لاقى فيها الأمرين ، وتعرض لمخاطر جمة .

لقد تذكر حاجته وحاجة أخته إلى الماء ، وسيطر الشؤم على تفكيره ، وراح جمعه إلى تفرق ، وحاله إلى شتات .

راح يسوق أخته يمينا وشمالا ، وشرقا وغربا . لقد افتنهن من السواء (٢) ، من الأماكن المرتفعة وقد قل مأوها . واعترضه طريق واسع راح يدور حوله . (وعانده طريق مهيع) (٣) ، ياله من منظر رهيب لهذا الحمار مع أخته بالجزع بين ينباع وأولات ذى العرجاء (٤) .

لقد تحول القطيع فى هذه الأماكن إلى نهب مجمع ، كأنها نهبت من كل جانب وجمعت فى مكان ولا صلة بينها .

والقائد ، وقائد القطيع ، وكأنما هو مدوس متقلب فى الكف إلا

١- الجزر نقيض المد . وجزرت : نقصت . والجزر تضروب الماء (لسان العرب مادة جزر) .

٢- السواء : المرتفع . البثر : الكثير والقليل . وهنا بمعنى القليل .

٣- المهيع : الواسع .

٤- الجزع ينباع ، وأولات ذى العرجاء : أماكن .

أنه هو أضع كأنه تلك الخشبة التي يشد عليها مسن ويداس بها ،
إلا أنه أخشن وأغلظ . هذه هي صورة القطيع في رحلته التي
قطعها بحثاً عن الماء ، وكأنهن ربابة ، كأن الأتن أقداح ، وقائدها
يسر ، وهو ما يضرب به القداح .

صورة التشنت والتخبط والضياع . وأخيراً ، وبعد هذه الرحلة
المؤلمة وردن ، وصلن ، فوردن والعيوق مقعد رابئ الضرباء
فوق النظم لايتلغ (١) .

وردن الماء في آخر الليل ، وعندها ، شرعن في حجرات
عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الأكرع (٢) أسرع في لهفة
إلى ارتشاف ماء عذب بارد نقي ، فالماء إذا كان على حصباء كان
أعذب وأصفى .

١- العيوق : كوكب . فوق النظم : نظم الجوزاء . يتلغ : يتقدم . رابئ
الضرباء : الرجل الذي يرصد وينظر من يضربون القداح .

٢- البطاح : بطون الأودية . الأكرع : مستدق الساق العارى من اللحم
الحجرات : النواحي .

وهنا تأتي اللوحة الثالثة لتطور الأحداث ، وتتميها فقد جاء القطيع إلى حتفه ، لقد جاء الصائد إلى الماء قبل ذلك ، وترصد حولها ، لعلمه بضرورة ورود القطيع ، أي قطيع إلى الماء بعد تناقصه . فشربن ، وبعد ما هدأت النفوس من الرحلة وسرى الماء في حنايا الضلوع ، سمعن حسا يتوارى خلف شيء ، سمعن صوتا تحجبه حجب ، سمعن صوتا تمرسن على سماعه قبل ذلك " ريب قرع يقرع " صوت وتريقرعه الصائد . كم تعرضن لمثل هذا الصائد ، وكم تعرضن لهن ، لقد أصبحن يميزن الأصوات ، ويعرفن صوت الوتر ، وصوت الصائد ، بل وصوت النصال المرهفة . ونميمة من قانص متليب ، في كفه جشء أجش وأقطع ^(١) وما يلبسه الصائد وما يتحزم به .

فنكرن هذا الصوت وتلك النميمة ، ونفر القطيع كله ، إلا أن سطعاء هادية وهاد جرشع قد امترست به ^(٢) اقترب منه هذا الفحل

١- نميمة : أصوات تتم عن وجود صائد . قانص متليب : صائد متحزم . حيشء : قضيب أجش : له صوت غليظ . وأقطع : جمع قطع وهو نصل عريض قصير .

٢- امترست به : اقتربت منه . سطعاء : طويله العنق . هادية : متقدمة هاد : متقدم . جرشع : منتفخ الجنبين .

وتلك الأتان (١) .

وعندما اقترب هذا الفحل وتلك الأتان ، كانت الفرصة سانحة للصائد فرمى فأفقد وأصاب نجودا عائطا (٢) .

أصاب ممثلة باللحم والشحم ، فنقد السهم من الجنب الآخر وقد تصمع (٣) وقد انضم ريشه من الدماء . ونظر الصائد فلمح الفحل ، لمح الحمار بخوا صره الممثلة وهو رائغ ، فأسرع إلى كنائته يبحث فيها عن سهم آخر ، سرعان ما رمى به فألحق الفحل بالأتان ، فألحق السهم بسابقه ، فألحق السهم بكشح هذا الحمار . فرمى فألحق صاعديا مطحرا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع (٤)

١- في شرح الديوان : امترست هوجاء بالفحل : جعلت تكاده وتسير معه [الديوان ، ج ١ ، ص ٨] وأرى أن الأوجه أن يعود الضمير على الصائد ونفر بقية القطيع . ولذلك عقب بقوله : فرمى : أي الصائد .

٢- النجود : الأتان الطويل . والعائط : التي اعتاطت رحمها . وربما عاطت الناقة من كثرة شحمها ، وعاطت الناقة : لم تحمل سنين من غير عقر (لسان العرب مادة عيط) .

٣- ريشه متصم : منضم .

٤- صاعديا : سهمان منسوبان إلى بنات صعده (وهي قرية باليمن) على غير قياس . وفي اللسان : الصاعدي نسبة إلى بنات صعده وهي حمير الوحش (لسان العرب مادة سعد) مطحر : السهم بعيد الذهاب . الكشح : الخاصرة .

هكذا سقط القطيع ^(١) واحداً تلو الآخر . فأبدن حتوفهن ، فهارب بزمائهن ، أو يارك متجعجعُ بالها من نهاية دامية لهذا القطيع . لقد ساق الصائد إلى كل واحدة حتفها ومنهن من هربت بالبقية الباقية من حياتها . أو من خر صريعاً ملتصقاً بالأرض .

وبعد هذا تحول القطيع إلى صريع وهارب وبقية تعثر في حد الظبات ^(٢) وتناثرت الدماء هنا وهناك فكانما كسيت برود بني يزيد الأذرع ^(٣) وبرود بني يزيد هذه تضرب إلى الحمرة ^(٤) وانتهت قصة هذا القطيع بتلك النهاية المفجعة ، بعدما كانوا يعيشون في دعة وأمن وخصب ونماء .

• جون السراة (رؤية فنية)

تتطوى هذه القصة على ظواهر فنية كثيرة أولها :-

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :

قد يظن للوهلة الأولى أن الشاعر يحكى قصصاً لحيوان ما ،

١- الذماء : بقية النفس . المتجعجع : الساقط على الأرض .

٢- الظبات : جمع مفردة ظبة وهي طرف النصل .

٣- الأذرع : العصائب .

٤- الديوان ، ج ١ ، ص ١٠ .

وأن قصص الهنليين ماهى إلا تكرار لوصف ذلك الحيوان ، وقد يختلف الحيوان فى القصة من حمار وحشى إلى وعل إلى بقر وما شابه ذلك . ولكن النتيجة واحدة وهى موت هذا الحيوان .

قد يظن ذلك للنظرة المتسرعة . ولكن الباحث المدقق يجد عالما من المتغيرات فى كل قصة عن غيرها من القصص . وأن القصة مرتبطة تماما بموضوعها ، ومختلفة تماما عن غيرها من القصص ، اختلاف الموضوع عن غيره من الموضوعات . والقصة التى معنا تحكى موضوع القصيدة ، فالشاعر ييكى أولاده الذين تخرموا ، كما يقول شارح الديوان (وقد هلك له خمسة بنين فى عام واحد أصابهم الطاعون) (١) وفى رواية وكان له سبعة بنين شربوا من لبن شربت منه حية فهلكوا فى يوم واحد .

ومن هنا نرى تطابق القصة مع موضوع القصيدة نرى تعدد الحمير الوحشى فى القصة ، بل إن الشاعر عينهم ، فحمار الوحشى له جداثد أربع والرواية تقول إن أبناء أبى ذؤيب كانوا خمسة :-

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جداثد أربع

كان العدد لم يأت لأن القافية عينية ، أبدا فعنده كلمات كثيرة للقافية ولكنه شغل بأولاده وهو يحكي القصة،

وفي ناحية أخرى نرى تعدد الذين ماتوا في نهاية القصة :-

فكرته ففرت وامترست به	سطعاء هادية وهاد جرشع
فبداله أقراب هذا رائغا	عجلا فعيث في الكنانة يرجع
فأبدهن حتوفهن فهارب	بذمائه أو ببارك متجعجع

ومن ناحية ثالثة نرى أن هذا الجمع قد لاقى حتفه بعد شربه مباشرة .

ومن هنا نرى موافقة القصة للرواية التي تقول : (شربوا من لبن شربت منه حية ثم ماتت فهاكوا) (١) .

فشربن ثم سمعن حسا دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع
وكذلك نرى النهاية تأتي دون مقاومة في القصة ، كما كانت
نهاية أبناء أبي ذؤيب .

فكرته ففرون وامترست به	سطعاء هادية وهاد جرشع
فرمى فأنفذ من نجود عائط	سهما فخر وريشه متصمع

فبداله أقرب هذا رائفا عجلا فعيث في الكنانة يرجع
 فرمى فألق صاعديا مطحرا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع
 فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أوبارك متجعجع
 يقترن في حد الطبات كأنما كسيت برودبني يزيد الأذرع^(٢)
 هكذا نرى النهاية تأتي دون مقاومة ، أترست به سطعاء ،
 فرمى فأنفذ من نجود وعائط ، فرمى فألق صاعديا مطحرا
 بالكشح ، فأبدهن حتوفهن ، والنهاية هنا متساوية مع نهاية الأبناء
 بالسهم أو بالطاعون دون مقاومة .

• مقدمة القصيدة (مفتاح القصة)

حطيت مقدمة القصيدة في أدبنا العربي بنصيب كبير من
 الرعاية من الباحثين والنقاد في القديم والحديث ، لدرجة أن خصها
 باحث بكتابين جعلهما عنواناً لهما (مقدمة القصيدة العربية) (١) .

ووجود المقدمة الطللية ، أو الغزلية أو خلو القصيدة منهما
 وتحولها إلى الحديث عن الخمر ومدى ملائمة هذه المقدمة
 للموضوع ، كل هذه القضايا لفتت أنظار الباحثين وتحدثوا عنها

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٠ .

٢- مقدمة القصيدة العربية ، د / حسين عطوان .

بالتفصيل .

وأود أن أنبه منذ البداية إلى أن المقدمة التي سنتحدث عنها هنا هي ما سبق القصة في القصيدة من أبيات .

فالشاعر يبدأ بعدة أبيات تطول أو تقصر حسب الشحنة التي دفعته إلى إبداع القصيدة قوة أو ضعفاً ، وبعدها يبدأ في عرض القصة ولذلك فالقصيدة هي القصة ، وما سبقها من أبيات نستطيع أن نسميه مقدمة ، أو تمهيداً للقصة ، أو مفتاحاً لها .

والشاعر أبو ذؤيب هنا يبدأ قصته بمقدمة لاهي طلبية ولا غزلية ولكنها مقدمة باكية :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

وهكذا يدير الشاعر حواراً على لسان تلك الجارة (١) الملاصقة لأبي ذؤيب والتي تحس به ، وتلمح أساه وشحوبه .

ومن هنا فهو ينقل لنا أحاسيسه من خلال هذا الحوار الذي يدور بينه وبين أميمة ، ثم ، وبعد أن فرغ من بكاء أولاده ، وبعدها

١- لفظ الجارة الذي اخترته هنا يعنى امرأة قريبة له ، وملاصقة له نفسياً سواء كانت أخته أو حبيبته أو نفسه التي بين جنبيه .

سلا (١) وبعد ما أعطى مفتاح قصته ، أو مهد لقصته ، بدأ بالبداية المعتادة (والدهر لا يبقى على حدثانه) والقصة تتوافق تماماً مع التقديم .

وقد ساق الشاعر مقدمة في ثمانية عشر بيتاً ، ثم ساق قصصه في خمسين بيتاً بعد ذلك ، فهل نقول إن الشاعر بكى أولاده بهذا العدد القليل من الأبيات ثم ساق خمسين بيتاً لاهية عابثة ، أم أن الصحيح أن نقول إنه قدم لقصته بهذه الأبيات ، كأنه يقول سأحكي لكم قصة موت أولادى وقصة فقدهم ، وسأحكي لكم حالى بعدهم ، وسأسوق قصة بعد ذلك تصور حال بقية الناس ؟

وأقول ربما تتبلور هذه المقولة بعد دراسة مقدمة القصيدة عند الشعراء الآخرين .

١- ورد فى كتاب الأغاني ما يشير إلى أن الشاعر قد سلا بعد هذه الأبيات وذلك فى قصة طويلة موجزها : لما مات جعفر ، ابن المنصور الأكبر مشى المنصور فى جنازته ، ثم انصرف إلى قصره ونادى على الربيع أن ينظر من ينشده " أمن المنون " وحضر من أنشده حتى وصل إلى قوله : والدهر لا يبقى على حدثانه ، قال : سلا أبو ذؤيب ، الأغاني ، ج ٦ ، ص ٢٧٤ وإن كنا نرفض ذلك لأننا سنثبت أن المقدمة ما هى إلا مفتاح القصة .

• الدقة فى تحديد البيئة :

من عناصر القصة فى عصرنا الحديث ما يسمى بالبيئة الزمانية والمكانية والجو العام المحيط بها (١) أو خلق جو القصة (٢)، وهذا المسميات لهذا العنصر هو ما يمكن أن نطلق عليه هنا : التحديد الدقيق لبيئة القصة .

وقد يحسب القارئ لقصة من قصص الهذليين ان الشاعر عندما يصف الصحراء أو الأشجار أو الجبال أو الماء ، أو يحدد زماناً ما ، قد يحسب أنه يصف شيئاً صادفه ، أو أعجبته البيئة فتحدث عنها ، وهذا الوصف لا علاقة له بالقصة .

قد يحسب القارئ أو الباحث هذا اللوثة الأولى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أن الشاعر يرسم بيئة للقصة خاصة بها ومناسبة لها يرسم جواً عاماً يخدم القصة ويتمشى مع موضوعها ، فهو وإن وصف المكان بالجذب فى قصة فلأمر ما تحتاجه القصة ، وقد يصف المكان بالخصب فى موقف آخر ، ويصف العشب تارة بالطول وأخرى بالقصر ، وكذلك يفعل الشاعر فى الأشجار

١- القصة والرواية ، د / عزيزة مريدن ، ص ٣٠ ، دار الفكر ، دمشق .

٢- القصة من خلال تجاربى الذاتية ، السحار ، ص ٥٨ ، مكتبة مصر .

والأنهار والجبال والطرق ، إنها ليست بلوحات صامتة جامدة خرساء رآها الشاعر فوصفها وشغل بها قصته ، ولكنه استطاع أن يوظف البيئة لخدمة القصة .

• الجو العام في هذه القصة :

أراد الشاعر أن يرسم جواً سعيداً لهذا القطيع نلمحه منذ البداية، فصور الحمار بأنه " صخب الشوارب " فهو يرفع عقبرته بالغناء ، وأنته قد طاوعته .

أكل الجميم وطاوعته سمج مثل القناة وأزالته الأمر^(١)

وقد أكل الجميم - العشب عندما يعلو - وطاوعته سمج مثل القناة - طاوعته أتان فارعة قوية وأزالته الأمر ، أنشطته المرعى وجعلته في نشاط وقوة ، والأثن حوله يعتلجن بروضه فيجد حينا في العلاج ويشمع ، الأثن تعض بعضها بعضاً في لهو ، وهو يلعب أحياناً ، ويصطنع الجد أحياناً ومن هنا نلمح الجو العام الباسم السعيد لهذه القصة .

• البيئة المكانية :-

يصور الشاعر في هذه القصة البيئة المكانية التي جرت أحداث القصة فيها وهي لا تصادم الجو العام ولا تخالفه ، وإنما تتمشى مع روح القصة .

فالمكان :-

بقرار قيعان سقاها وابل واه فأتجم برهة لا يقلع
فالأرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة لا حزونة فيها ولا
ارتفاع كما يقول المعجم في تفسير كلمة " قيعان " ^(١) والطعام الذي
يأكله هو " الجميم " وهو النبات الكثير ، وهو الذي ينهض وينتشر ،
فالشاعر أو القصاص لا يصف هنا أرضاً ولا نباتاً صادقه أو عاش
بجواره ، ولكنه يصف أرضاً معينة وطعاماً معيناً ليخدم أو يرسم
الجو العام لقصته .

وعندما أراد الشاعر نفسه أن يصور ، وأن يرسم جواً آخر
لل قصة وهو جو التشاؤم تغيرت البيئة المكانية :

فافتهن من السواء وماؤه بشر وعانده طريق مهيع

- السواء : المرتفعات ، ماؤه بثر : عطاء بثر ، كثير وقليل ^(١) ، وتكون هنا بمعنى القليل ^(٢) ، وعانده طريق مهيع .

• الشخصيات :

وصف الشخصيات مهم في القصة ، " وعلى قدر مافى شخوص القصة من نبض وحياة تكون قيمة العمل الفني . ولو كانت القصة تقاس بحبكتها وموضوعها لكانت الحوادث التي تسردها الصحف كل يوم متقنة في عرضها من القصص الفني ، ولكنها بعيدة عن ذلك ، لأن عنصر الحياة ينقصها . والقاص الناجح هو الذي يخلق لنا أناسا خالدين لانسأهم بل تظل شخوصهم حية في أذهاننا " ^(٣) .

والقصة التي بين أيدينا تحمل شخوصا معينة منها شخصية الحمار الوحشي وشخصية الأتن التي تتبعه ، وشخصية الصائد

١- لسان العرب مادة بثر .

٢- فهم الجو العام للقصة يساعدنا في تحديد الألفاظ المشتركة ، فمثلا هنا كلمة بثر " للماء القليل والكثير ، وقد فسرها الشارح للديوان بالكثير ، ج ١ ، ص ٦ . وهو مما يصادم الجو العام والسياق ، والجو العام يقتضي أن نفسرها بالقليل .

٣- القصة من خلال تجاربي الذاتية ، ص ٨١ .

- السواء : المرتفعات ، ماؤه بثر : عطاء بثر ، كثير وقليل ^(١) ، وتكون هنا بمعنى القليل ^(٢) ، وعانده طريق مهيع .

• الشخصيات :

وصف الشخصيات مهم في القصة ، " وعلى قدر مافى شخوص القصة من نبض وحياة تكون قيمة العمل الفني . ولو كانت القصة تقاس بحبكاتها وموضوعها لكانت الحوادث التي تسردها الصحف كل يوم متقنة في عرضها من القصص الفني ، ولكنها بعيدة عن ذلك ، لأن عنصر الحياة ينقصها . والقاص الناجح هو الذي يخلق لنا أناسا خالدين لا ننساهم بل تظل شخوصهم حية في أذهاننا " ^(٣) .

والقصة التي بين أيدينا تحمل شخوصا معينة منها شخصية الحمار الوحشي وشخصية الأتن التي تتبعه ، وشخصية الصائد

١- لسان العرب مادة بثر .

٢- فهم الجو العام للقصة يساعدنا في تحديد الألفاظ المشتركة ، فمثلا هنا كلمة بثر " للماء القليل والكثير ، وقد فسرها الشارح للديوان بالكثير ، ج ١ ، ص ٦ . وهو مما يصادم الجو العام والسياق ، والجو العام يقتضي أن تفسرها بالقليل .

٣- القصة من خلال تجاربي الذاتية ، ص ٨١ .

وننظر إلى هذه الشخصيات من خلال أبعادها الثلاثة :

١ - **البعد الجسمي** : فيرسم أوصاف الشخصية من الخارج طولاً أو قصراً ، بدانة أو نحافة . كما يصف لون البشرة وملامح الوجه وما إلى ذلك من خصائص خلقية مميزة .

٢ - **البعد الاجتماعي** : فيصورها من حيث ثقافتها وعقيدتها وهواياتها وبيئتها والمجتمع الخارجي المحيط بها .

٣ - **البعد النفسي** : الذي قد يكون حصيلة البعدين السالفين . ويعنى الكاتب فيه بتصوير عواطف الشخصية وطباعها وطريقة تفكيرها وتصرفاتها وردود فعلها تجاه المواقف المتعددة^(١).

وانطلاقاً من هذه التعريفات للشخصية ، نرى أن الشاعر قد تحدث عن شخصية الحمار الوحشي فحدد معالمه منذ البداية ، متناولاً البعد الجسمي . فهو جون السراة . فهو أسود أعالي الظهر وأبيضها .

والأثن : جدائد أربع ، والجَدُودُ التي لا لبن لها ، فإن ذلك يكون أسمن لها وأقوى ، وهي سمحج مثل القناة . أي طويلة

١ - القصة والرواية د/ عزيزة مريدن ، ص ٢٩ .

الظهر .

والصائد : شخصية الصائد هنا مهمة ، لأن موت المرثى ، وطريقة موته ، مرتبطة تماما بوصف الصائد ، والصائد فى هذه القصة قانص متلجب . فالصائد أو القانص قد تحزّم ، وأخذ وضع الاستعداد ، وأمسك بكفه قوسا ونصالا .

ونرى البعد النفسى هنا فى شخصية الحمار الوحشى ، وهو يغنى من ناحية ويجدّ ويلعب من ناحية أخرى ، فإذا نقصت المياه ذكر الورود وشاقى أمره شؤم .

هذه الأوصاف التى ذكرنا للشخصيات ربما بدت قليلة من ناحية ، وربما لا تقيم معلما واضحا محددا للشخصية من ناحية أخرى ، فوصف الحمار الوحشى بأنه أبيض الظهر أو وصف الأتان بأنها طويلة لا يشكل معلما واضحا متفردا للشخصية . ولكننا يجب أن نسلّم بأن القصة الشعرية لها سماتها ، وأننا نتعسف عندما نطبق عليها عناصر القصة النثرية بحذافيرها .

(وقد تكون الشخصية القصصية نمطية ، تحمل خصائص الشخصية الإنسانية بعامة ، ومثل هذه القصة يمكن أن تقبل فى القصة الشعرية أكثر مما تقبل فى القصة النثرية ... لأن القصة فى

الشعر تعنى بالتكثيف والرمز (١) .

ومع تسليمنا بأن تلك الأوصاف للشخصية فيها بعض النمطية إلا أنه بالمقارنة بالقصص التالي يتضح الفوارق الدقيقة بين حيوان وآخر وصائد وآخر بما يخدم موضوع القصة .

• الأحداث :

تشكل الأحداث موضوع القصة ، والعنصر الرئيسي فيها ، يعتمد عليه في تنمية المواقف وتحريك الشخصيات (٢) وشرط الجاذبية في تسلسل الأحداث أن تتدرج في أجزاء موضوع القصة فتبدأ ضعيفة ، ثم تنمو مع نمو العمل وتعقد الحدث (٣) .

والأحداث في قصتنا هذه فيها تسلسل ، وفيها نمو ، وفيها تعقد وتشابك وبداية ونهاية . فالقصة تبدأ بوصف هذه المجموعة السعيدة لهذا القطيع من حمير الوحش ، ثم تتطرق الأحداث في تصاعد وتشابك لتغير من هذا الواقع السعيد ، ولتغير أيضا من سلوكيات قائد القطيع صخب الشوارب ، الذي كان يملأ الدنيا صياحا ، ويجد

١- أصول الأنواع الأدبية ، د/ محمد أحمد العزب ، ص ٢٧٨ .

٢- القصة والرواية ، د / عزيزة مريدن ، ص ٢٦ .

٣- في أصول الأدب : أحمد حسن الزيات ، ص ٣٤٥ .

ويشجع ، وقد أزعلته الأمرع فإذا به بعد أن نقصت المياه ، وضافت السبل مدوس متقلب ، شاقى أمره شؤم ، وعانده طريق مهيع وراحت الأحداث تحرك الشخوص وتدفعها بحثاً عن الماء ، ثم تتحرك الأحداث وسط هذا التآزم لتضطدم بالواقع المحتوم متمثلة في نهاية هذا القطيع بسماع صوت الصائد ، ووقوع القطيع ما بين قتيل وجريح .

• الصياغة :

ويمكن أن نسميها طريقة عرض الحوادث كما أشار إلى ذلك السحرتي ^(١) مشيراً إلى أنه بالإمكان عرض الحوادث عن طريق الترجمة الذاتية ، أو طريقة السرد المباشر أو طريقة الرسائل المتبادلة ، أو المونولوج الداخلي أوتيار الوعي . وقد أشار إلى ذلك في عجالة سريعة الدكتور محمد العزب عندما قال : (كذلك يبدو أنهما معاً ^(٢) يستطيعان صياغة هذه الحكمة في أي شكل شاءا : سرداً أو ذكريات أو رسائل ^(٣) مشيراً إلى أن الذكريات أو الوعي أقرب إلى طبيعة الشعر منها إلى طبيعة النثر .

١- القصة من خلال تجاربي الذاتية ، ص ٣٦

٢- يقصد القص النثري والقص الشعري .

٣- أصول الأنواع الأدبية د / محمد العزب ، ص ٢٨٠ .

وإذا كان الدكتور محمد يوسف نجم في كتابه " فن القصة " يعد طريقة المونولوج من أحدث التطورات في فن القصة . فإن الشاعر أبا ذؤيب قد استخدم هذه الطريقة ، مع مراعاة التكتيف الشديد في لغة القصة .

وقد تمثل ذلك في قول أبي ذؤيب بعد ما نقصت المياه :

ذكر الورود بها وشاقى أمره - شؤم وأقبل حينه يتتلع في
قوله ذكر الورود تكتيف مركز للرحلات الماضية واسترجاعها إلى
الذاكرة وحكايتها ، وما كان يحدث فيها من مخاطر وأهوال .

هذه الرحلات السابقة جعلت الشؤم يسيطر عليه ، بعدما تبدت
له المخاطر السابقة .

وقد اعتمد أبو ذؤيب على التصوير في كثير من مواقف
القصة . فهو يصور حال الأثن بعد نقص المياه وفزعها وهلعها
وتخبطها في الطرقات بقوله :

فكانها بالجزع بين " ينابيع " وأولات ذى العرجاء نهب مجمع
كانها بين هذه الأماكن حمير نهبت من أماكن متفرقة وجمعت في
مكان فلا ألفة بينها ، وإنما الخوف والفزع والتخبط . ويصور حال
قائد القطيع بقوله :

وكأنما هو مدوس متقلب في الكف إلا أنه هو أضلع

يالها من صورة رهيبة لقائد القطيع وهو يصعد ويهبط ويتقدم ويتأخر ويدور حول نفسه كالمن الذي تصقل به السيوف . كخشبة المسن التي تعلو وتهبط وتدور حول نفسها .

وتصوير القطيع في النهاية ما بين هارب بالبقية الباقية من روحه ، وما بين بارك على جنبه يتجمع ملتصق بالأرض قد لقي مصرعه .

فأبدن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجمع

وكذلك في تصويره الذكر والإناث وهو يحركهن ويسوقهن باليسر الذي يضرب بالقдах ويحركها وذلك في قوله :

وكانهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القдах ويصدع

ويستخدم الألوان في إبراز الصورة وتظليلها في كثير من المواقف فهو جون السراة . والجون : الأسود ، والأبيض والأحمر . وهن يعثرن في حد الظبات والدماء تحوطهن من كل جانب كأنها كسيت برود بني يزيد وهي تميل إلى الحمرة .

• بين البداية والنهاية :

بداية القصة عند أبي ذؤيب وعند غيره من الشعراء تبدأ بقوله "والدهر لا يبقى على حدثانه" وقد كثر هذا المطلع في شعرهم كما سيتبين لنا فيما بعد عند جل الشعراء ، حتى أصبح لازمة للقصة في شعر الهذليين . إذا أراد أحدهم أن يبدأ قصة من القصص بدأها بقوله . والدهر لا يبقى على حدثانه ، حتى صار يشبه قولنا في بداية كل حكاية "كان ياماكان" دلالة على بداية القصة .

والإصرار على بداية القصة بهذا المطلع يجعلنا لانميل إلا ماقاله صاحب كتاب "الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى" عندما قال : هكذا تتشكل الشريحة الثانية التى تبدأ كما بدأت الشريحة الأولى بصيغة تقريرية تؤكد حتمية فناء بطل الشريحة (حمار الوحش) وانهياره أمام الموت ، لكنها مع ذلك تستمر لتروى حكاية صراعه . وهذه صيغة فاجعة تماماً للحكاية ، لأنها تقدم النهاية سلفاً (١) وهو يقصد بهذه الصيغة التقريرية التى قدمت النهاية سلفاً ، وفجعت الحكاية تماماً ، قول أبي ذؤيب "والدهر لا يبقى على حدثانه" ولا أميل إلى ذلك القول .

أولاً : لتكرار هذا المطلع في بداية القصة عند جل الشعراء الجاهليين . وثانياً لاختلاف نهاية القصة رغم اتفاقها في هذا المطلع ما بين موت وتشرد وضياع ومجهول كما سنرى عند شعراء بني هذيل مع استخدامهم لهذه الصيغة . مع ملاحظة أنه لاحقاً على القصاص أبداً أن يبدأ القصة من نهايتها أو من وسطها أو من أولها.

هذا بالنسبة لبداية القصة . أما نهايتها فهي مرتبطة بموضوع القصيدة فإذا كان الموضوع للرثاء اختلفت النهاية عن الفراق ، أو الغربة أو ماشابه ذلك . وإذا كان الموضوع في الرثاء اختلفت النهاية أيضاً باختلاف الطريقة التي مات بها المربي ، فإذا كان قد مات في الحرب جاءت النهاية وفيها مقاومة للصائد بعكس من مات مسموماً ، أو مبطناً أو مات على فراشه أو بالطاعون أو متشابهاً ذلك .

والقصة التي بين أيدينا مات فيها أولاد الشاعر بالطاعون أو بالسم ومن هنا نرى موت القطيع دون مقاومة وقد أشرنا إلى ذلك في ارتباط القصة بموضوع القصيدة .

القصة الثانية

﴿قصة الثور﴾

والدهر لا يبقى على حدثانه
شعبُ أفرته الكلابُ مروّعُ
شَعَفَ الكلابُ الضارياتُ فواده
فإذا يرى الصبح المصدق يفرعُ
ويعوذ بالأرطى إذا ما شفه
قَطُرُ وراحته بليلاً زعرع
يرمى بعينه الغيوب وطرفه
أولى سوابقها قريباً توزع
فغدا يشرق متسنه فبدا له
غبر ضوار وافيان وأجدع
ينهشسنة ويذبهن ويحتمى
عَبَلُ الشوى بالطرتين مولع
فحالهما بمذلقين كأنما
عجلا له بشواء شرب ينزع
فكان سفودين لما يُقْتَرَا
مترب ولكل جنب مصرع
فصرعه تحت الغبار وجنبه
منها وقام شريدها يتضرع
حتى إذا ارتدت وأقصد عُصْبَةً
بيض رهاف ريشهن مُقَزَّع
فبدا له رب الكلاب بكفه
سهم فأنفذ طريه المنزع
فرمى لينفذ فرها فهوى له
بالخبت إلا أنه هو أبرع
فكبا كما يكبو فنيق تارز

• رؤية لغوية :

هذه هي القصة الثانية في القصيدة نفسها . قصة الثور . وهي ليست قصة مكررة من الأولى . ليست قصة ثور ظهرت له كلاب فقضت عليه . أبداً ، ولكننا مع بطل آخر يغاير وينافض البطل الأول تماماً . النموذج مختلف تمام الاختلاف فصورة جو السراة كما رأينا صورة الفرح المستبشر الذي يحب من الدنيا ولذاتها ، صخب الشوارب ، يجد ويشمع ، والدنيا تعطيه ما يتمنى . ولكن بطل هذه القصة يختلف تماماً كما سنذكره . وأصدر القصة بهذا حتى لا يتوهم القارئ أنها قهصص مكرور لحيوانات تختلف في أشكالها وتتفق في مصيرها .

نحن الآن مع بداية القصة " والدهر لا يبقى على حدثاته " اللازمة " في قصص الهذليين . كان ياما كان . كان هناك شبيب (١) هذا الشبيب قد أفزته الكلاب ، أزعجته وطيرت فؤاده . يعاني من الوحدة ، فليس معه أحد من بني جلدته . ولم تأت القصة على ذكر أحد غيره . وهو ثور مفزع ، يفزع من كل شيء ويخاف مما حوله .

(١) الشبيب والشيوخ والمشيب : المسن من ثيران الوحش (مادة شبيب لسان العرب) .

وحق له أن يفعل ذلك فتجربته السابقة جعلته يخاف من الكلاب ومن الصائد ومن كل شيء . وهو مروع وخائف أبدا . هذا الخوف يطارده في كل مكان ، الكلاب الضاريات قد أذهبن لب هذا الثور مامن صبح يطلع إلا ويتسلط الخوف على قلبه مترقبا ظهور الكلاب كما ظهرت له قبل ذلك . وهو في خوفه يأخذ حذره ، ويعوذ بالأرطى^(١) يلجأ إلى تلك الأشجار العالية في الصحراء ويتوارى خلفها من خوفه ومن البرد ، ومن الكلاب ومن الرياح ومن كل شيء .

وحتى وهو قابع في مكنه يرمى الغيوب بعينيه ، يحاول أن يرى مالا يرى وأن يسمع مالا يسمع ، وأن يحس مالا يحس من شدة فزعه وخوفه .

عينه معلقة بالمجهول وسمعه كذلك في حالة تصنت شديد وترقب أشد . هذه هي صورة البطل ، بطل القصة الثانية ، ثور فزع خائف من كل ماحوله لم تعطه الدنيا شيئا ، ولو أعطته لما مده يده ، لخوفه الشديد وتوقعه على نفسه . فيا ترى هل هو آمن بهذه الصورة من غدرات الزمان ؟

١- الأرطى : جمع واحده أرطاة وهو شجر ينبت بالرسل عصيا من أصل واحد .

في يوم مشنوم خرج هذا الثور على عادته ، خرج من مأمنه ، عانى من شدة البرد ، تطلع إلى قليل من ضوء الشمس ، غدا يشرق منته ، وعندها كان ماكان . فغدا يشرق منته فبدا له . يالها من حياة مؤلمة عابسة لامعة فيها ولا رغد . فغدا ، فبدا . في سرعة متلاحقة ، وتلازم مفجع محزن .

سرعة متلاحقة لم تتج له أن يهنا بإشراق الشمس ، ولا أن ينعم بالدفء . فبدأ له أولى سوابقها قريباً توزع ^(١) ظهرت له أولى سوابق الكلاب ويحاول الصائد أن يحد من سرعتها لتجتمع كلها . لتكون بدا واحدة على الثور ، فاهتاج من فرع ، ارتاع من الفرع ، وسد فروجه ^(٢) ، غير ضوار ^(٣) وأحياناً وأجدع ، لقد شلت الكلاب حركته وحاصرته من كل طريق ، ولم يبق أمامه سوى المواجهة مع كلاب غير مدربة مستأسدة من كل نوع مقطوعة الأذن وغير مقطوعة . وما أسرع ما أطبقت الكلاب في لحم هذا الثور ينهشنه ^(٤)

١- توزع : تزجر وتكف من الصائد ليقف السائق ويجمع شمل الكلاب .

٢- سد فروجه : قوائمه ، أي ملأ ما بين قوائمه بالعدو الشديد ، أو دخلت الكلاب ما بين قوائمه وشلت حركته الديوان ، ص ١٢ .

٣- كلاب تضرب لونها إلى الغبرة . وضوار : أي ضربت واستأسدت .

٤- النهش : دون النهس ذئ ، وهو القبض على اللحم ونثفه (لسان العرب مادة نهش) .

ويذهب ، يدفع الكلاب ما أمكنه ، وبكل ما أوتى من قوة ، فهي معركة حياة أو موت . ويرسم الشاعر صورة في هذا الوقت لمحها لهذا الثور فهو عبل الشوى ، هو غليظ القوائم ، وعلى كتفيه خيطان أسودان وهما الطرتان . وهنا بدأت المعركة " فنجالها " فمال إلى الكلاب وقصد إلى الكلاب ، بمذاقين ، بقرنين محددين أملسين ، سرعان ماتحول لونها من كثرة الضرب إلى اللون الأحمر القانى " كأنما بهما من النضح المجدح أيدع " (١) من كثرة طعنه وتحريكه لقرنيه فى جوف الكلاب .

إنها معركة حياة أو موت ، يبدل الثور فيها كل ما يملك وفوق ما يملك ، سلاحه مع الكلاب هذه القرون التى تجول فى بطون الكلاب ، وقد امتلأت بالدم ولو شئت أن تراها وقد نفذت من جنب الكلب لرأيت سفودين لما يقترا (٢) لرأيت حديدتى شواء نزع عنهما

١- النضح : مائطير من دم ، والمجدح ! الذى حركه الثور بقرنه فى أجواف الكلاب وأيدع : الأيدع الزعفران وقيل : دم الأخوين ، وقيل صمغ أحمر .

٢- السفود : حديدة ذات شعب معقوفة يشوى بها اللحم ، وجمعه سفاويد (لسان العرب مادة سفد) القتره : غيرة يعلوها سواد كالدخان ، والشرب جماعة يشربون الخمر .

الشواء ولما بيردا فهما حاران من كثرة الطعن . وصرع الثور
كلبا من الكلاب ، وسقط الكلب وسط الغبار وجنبه متترب ، وارتدت
بقية الكلاب ، ورجعت للخلف هاربة ، وأقصدت عصابة منها ،
وقام شريدها يتضرع . لقد استطاع الثور أن يحسم المعركة
لصالحه ، وأن ينتصر على الكلاب ، ولكن المعركة لم تنته بعد .

ولكن قوة أخرى كانت له بالمرصاد . فبدا له رب الكلاب .
ونلاحظ هنا المواجهة الفردية ، فبدا ، وبداله ، وقد تسليح بأسلحة
الموت والدمار ، بدا له بكفه بيض رهاف ديشهن مقزّع (١) ، فرمى
، أحس الصائد أن كلابه قد ضاعت ، وأنه لابد من التدخل لينقذ
الفار منها ، أصاب الثور ، نفذ السهم من جنبه فكبا .

هي النهاية ، نهاية هذا الثور المستوحش الخائف ، نهاية
المدافع عن نفسه ببسالة ، كما كانت نهاية غيره

فكبا كما يكبو فنيق تارز بالخبت إلا أنه هو أبدع (٢)

١- بيض رهاف : رفاق الشفرات . قذع السهم : ماتفرق منه ريشه (لسان
العرب مادة قزع)

٢- الفنيق: الفحل من الإبل ، التارز : اليابس الذي لا روح فيه . الخبت .
ماطمأن من الأرض واتسع .

• رؤية فنية :

• علاقة القصة بموضوع القصيدة :-

موضوع القصيدة كما أسلفنا هو بكاء الشاعر لأولاده، وقد لاحظنا في مطلع القصيدة أن أبا ذؤيب لا يبكي أولاده فقط، ولكنه يبكي نفسه مع هؤلاء الأولاد ، أو يبكي نفسه من خلال هؤلاء الأولاد ، فالأولاد في البيئة الجاهلية هم عصب الحياة ، هم الراعى ، وهم المدافع ، وهم الأمان ، منهم يخاف العدو ومنهم تستمد القوة والسيادة ، بعد فقد هؤلاء الأولاد ، خمسة في لحظة واحدة أحس أبو ذؤيب أنه هو الذى سقط ، هو الذى مات ، ولذلك فهو يبكي نفسه في بداية القصيدة :

أمن المنون وربها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

إن الدهر لن يرجع ولن يتراجع عند جزعك وتوجعك .

وها هي أميمة تسأله منكرة عليه شحوبه ، وامتهانه الأعمال

الشاقة ، رغم ما عنده من مال ، منكرة عليه قلقه وعدم نومه .

منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا

الا أقض عليك ذاك المضجع

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا

أودى بنى من البلاد فودعوا

فأجبتها أن ما لجسمي أنه

أودى بنى وأعقبوني غصّة بعد الرقاد وعبرة لاتقلع

أرأيت أبا ذؤيب وهو يصف حاله ، وشحوب جسمه ، وابتذال نفسه ، وقلق مضجعه ، لماذا ؟ لهلاك أولاده ، ثم ، وبعد هذه الإجابة المقتضية عن هلاك أولاده ، يعود إلى نفسه ناديا لها ، باكيا إياها ، قلقا على مصيره في وسط الأعداء ، وفي وسط هذه البيئة التي قوامها بالأبناء ؟ أودى بنى وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة لاتقلع .

سبقوا هوى ، وأعنفوا لهواهم ، فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم يعود للحديث عن نفسه :-

فغيرت بعدهم بعيش ناصب وإخال أنى لاحق مستبمع

ثم يعود للحديث عن نفسه :

لابد من تلف مقيم فانتظر أبارض قومك أم بأخرى المصرع

ثم يعاود الحديث عن نفسه :-

وليأتين عليك يوم مرة يبكي عليك مقنعا لاتسمع

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع

أرأيت أنه مع بكاء أولاده يبكى نفسه ، يبكى وحدته ، يبكى

قلقه وخوفه " وتجلدى للشامتين " إن القصة الثانية التى بين أيدينا ، قصة هذا الثور المفزع ، قصة هذا الثور المتوجس الخائف الفزع ، تلك القصة هى قصة الأب الوحيد الأعزل القلق المتوجس الخائف بعد موت الأبناء . فالقصة السابقة هى قصة الأبناء الخمسة ، والقصة الثانية " قصة الثور " هى الأب وقد أُفرد ، وكَمُنَ خائفاً ينتظر حتفه " لابد من تلف مقيم فانتظر " أبأرض قومك أم بأخرى المصرع " وإخال أنى لاحق مستتبع " واذلك فهو خائف حتى من الصباح " فإذا يرى الصبح المصدق يفزع " والقطر ، والمطر الذى هو مادة الحياة فى الصحراء ، وبِالٍ عليه " ويعوذ بالأرطى إذا ماشفه قطر وراحته بليل زعزع " ورغم تجلده للشامتين . ورغم أن الثور ناضل بقرونه ، لكن ذلك لايفيد " لابد من تلف مقيم " حتى المعركة التى أدارها لم تكن معركة مع الصائد ، وإنما مع الكلاب . مع هؤلاء الشامتين من حوله " وتجلدى للشامتين " ثم حسمها الصائد فى النهاية ، إنها قصة الأب بعد فقد أولاده .

• البيئة :

البيئة انعكاس لموضوع القصيدة ، وموضوع القصيدة يخيم عليه جو القلق والتوجس وتوقع الموت . وموضوع القصيدة فيه انعزال عن المجتمع ، ولذلك فالقصة تخلو من الزمان والمكان إلا

ما ندر . وهذه الندرة جاءت متساوقة مع موضوع القصيدة .
 فالأشجار ، عصي طويلة تخرج من أصل واحد يعوذ بها ويلجأ
 إليها " ويعوذ بالأرطى إذا ماشفه " والأمطار التي هي رمز الخير
 والنماء ، جاءت هنا لتبيل جسده ، وتشعره بالبرد ، وتدفعه إلى
 حقيقته عندما يغدو ويشرق منته المبتل من المطر . حتى الزمان ،
 الصباح والاشراق رمز الأمل والأمان ، تحول في القصة إلى قلق
 وخوف وتشرد وموت " فإذا يرى الصبح المصدق يفرع " " فغدا
 يشرق منته فبداله " .

• الشخصيات :

– الشخصية الأولى :

شخصية هذا الثور الوحيد وقد أفرد في مكان ما . وقد اهتم
 الشاعر برسم البعد النفسى لهذه الشخصية ، ولم يتناول البعد
 الجسمى إلا فى لحظات خاطفة فهو " شبيب " ثور مسن ، هذا هو
 البعد الجسمى . وبعد ذلك مباشرة أفزته الكلاب ، يعيش فى فزع
 من الكلاب ومن إشراق الصباح مخافة ظهور الكلاب ، ومن
 المطر الذى يبيل جسده ويشعره بالبرودة . يتطلع على البعد حذرا
 من هجمة ، أو بطشه ، يرهف سمعه منصتا لكل نميمة أو صوت
 خفى . هذا هو البعد النفسى لهذا الثور . حتى بعض ملامح البعد

الجسمي ساقها الشاعر في لحظة لا تتفع فيها ، وهي لحظة الموت .

ينهشه ويذهبن ويحتمى عبل الشوى بالطرتين مولع

- الشخصية الثانية :

شخصية الكلاب . وقد اهتم بها الشاعر وجسدها لأنها تمثل الشامتين والحاسدين وهم قوة لا يستهان بها . فالكلاب من أول لحظة في القصة تشغل تفكير الثور " شبيب أفزته الكلاب " وفي البيت الثاني " شعف الكلاب الضاريات فؤاده " وقد رسم الشاعر في القصة شخصية الكلاب ، فهم كثر ، هم عدد لا يستهان به ، وقد انطلقت الكلاب عند رؤية الثور تسابق بعضها بعضا ، ويحاول الصائد أن يجمعها من شتات . وقد تناول البعد الجسمي للكلاب . فهي غبر ، ألوانها كالحبة تميل إلى السواد . فيها الأجدع وغير الأجدع ، فيها من قطعت أذنه وفيها غير ذلك . وهي ضارية متوحشة متعودة على نهش لحوم الفريسة .

- الشخصية الثالثة :

شخصية الصائد . وهو يأتي في مرتبة أقل بالنسبة لشخصية الكلاب . هو متوار خلفها ، ولذلك لم يعبر عنه بالصائد ، أو القانص ، لم يذكر صفته الجسمية ، ليس بمتحزم ولا بمتربص .

وإنما هو " رب الكلاب " فبدا له رب الكلاب " وقد انصب البعد الجسمي للصائد على مافى يديه من أسلحة " بكفه بيض رهاف ريشهن مقرع "

• الأحداث :

تبدأ القصة وقد تصاعدت الأحداث وتآزمت وتشابكت . فالقصة قد ابتدأت من منتصفها وسبقها أحداث قبل ذلك . سبقها ضياع بقية القطيع حتى تحول هذا الثور إلى هذه الوحدة . وسبقها تعرض الكلاب مرات ومرات لهذا الثور حتى " شعف الكلاب الضاريات فؤاده . وبدأت أحداث القصة بعد تلك الأحداث يحدث جديد تحركت معه شخوص القصة فقد هطل المطر ، وابتل ظهر هذا الثور ، وأشرق الشمس بعدها فتحرك الثور من مكانه وراح يشرق منته ، وقد ترتب على هذا الحدث أحداث أخرى ، وتطور في القصة ، تحرك الثور ، وظهرت الكلاب ، والتهمت الكلاب ، مع الثور ينهشنها ويدفعهن ويضرب بقرونها حتى سقطت الكلاب صريعة ، وفر بعضها هاربا بنفسه ، وترتب على ذلك الحدث حدث آخر ، وهو تحرك الصائد لينقذ كلابه " فبداله رب الكلاب " . وترتب على ظهور الصائد سقوط الثور مدرجا بدمائه ، فالأحداث متسلسلة ومتطورة ونامية .

• الصياغة :

لقد استخدم الشاعر في عرض قصته طريقة السرد المباشر عن ثور تعرض يوماً لهجوم من الكلاب الضارية فاستبسل في الدفاع عن نفسه حتى هزم الكلاب ، ولكن رب الكلاب لم يتركه بل صرعه بسهم فكبا والدماء تتناثر من جنبه .

وقد استعان في صياغته للقصة برسم صور رائعة من مثل

قوله :

يرمى بعينه الغيوب وطرفه مَغْضٍ يصدق طرفه ما يسمع

فلو حاول فنان ان يصور هذا المنظر ويرسمه بتلك الصورة التي أبرزها أبو ذؤيب لأجهد نفسه قبل أن يصل إلى ذلك ، فعيناه تنظر إلى بعيد ، إلى المجهول ، إلى ما وراء الأطراف المترامية ، إلى ما خلف الوهاد والجبال والآكام ، وهو لا ينظر إليها وإنما يرمى بعينه الغيوب ، وطرفه مَغْضٍ ، آذانه مرهفة بالأرض تستمع لكل همسة تتراعى إليه . ونلاحظ العلاقة بين " يرمى بعينه " و " يغضى طرفه " ونلاحظ التصوير في " ينهشنه ، ويذيهن ، ويحتمى " كل فعل من هذه الأفعال يعطى حركة .

ثم يدخل الشاعر وسط هذه اللوحة ألوانا مختلفة لطرني الثور
وقد بدت وتتأثرت هذه الألوان بين ينهشنه ويذبهن ويحتمي .
وتشبيهه لقرون الثور وهي تشتعل حرارة ودماء ودخانا من
سخونة الدماء بسفودين ، بحديدتي شواء قد نزع عنهما الشواء في
عجلة .

وكذلك تصوير حركة الكلاب بعد هزيمتها وقد ارتدت ،
وأقصد عصبية منها ، وقام شربها يتضرع .

• النهاية :

لقد انتهت هذه القصة بموت الثور ، كما انتهت القصة السابقة
بموت الحمار الوحشي ، ومع ذلك فالنهاية مختلفة باختلاف
الموضوع .

في قصة الحمار الوحشي الذي يصور موت أولاد أبي ذؤيب
بالسم الذي شربوه تأتي النهاية " فشرين ثم سمعن حسا " وهنا في
هذه القصة ، قصة أبي ذؤيب الحذر من الدنيا ، المتوجس منها تأتي
النهاية " فغدا يشرق متنه فبداله " .

ومن ناحية أخرى نحن لا نجد في القصة الأولى مقاومة من حمير الوحش بل إن الصائد كان يسرع بسهامه ليصيد أكبر قدر من حمير الوحش .

فبداله أقرب هذا رائغاً عاجلاً فعيث في الكنـانة يرجع " فرمى فأنفذ " ، " فرمى فالحق " ، " فأبدهن حتوفهن " كل الهجوم وكل الفعل من الصائد .

أما في هذه القصة فالوضع مختلف ، هنا مقاومة ، مقاومة بشراسة وضراوة ، هنا نجد الزمام في يد الثور ، هو الذي يصدر الفعل " فنحاله بمذلقين " ، " وأقصد عصبه منها " إلى أن ظهر رب الكلاب وصدر منه فعل واحد " فرمى لينقذ فرها " لتأتي النهاية .

ومن هنا نؤكد على اختلاف الطريقة التي ينهي بها الشاعر قصته باختلاف موضوعه .



القمة الثالثة

﴿ قصة الفارس ﴾

والذهر لا يبقى على حدثانه
حيث عليه الدرع حتى وجهه
تعدو به خوصاء يفصم جريها
قصر الصبوح لها فشرح لحمها
متفلق أنساؤها عن قاني
تأبى بذرتها إذا ما استكرهت
بيننا تعانقه الكمأة وروغه
يعدو به نهش المشاش كأنه
فتناديا وتوافق خيلاهما
متحامين الجحد كل واثق
وعليهما مسرودتان قضاهما
وكلاهما فى كفة يزيه
وكلاهما متوشح ذا رونق
فتخالسا نفسيهما بنوافذ
مستشعر حلق الحديد مقلع
من حرها يوم الكريهة أسفع
حلق الرحالة فهى رخو تمزع
بالنّى فهى تشوخ فيها الأصبع
كالقرط ضاؤ غبره لا يرضع
إلا الحميم فإنه يتبضع
يوماً أتيح له جريئ سلفع
صدع سليم رجعه لا يطلع
وكلاهما بطل اللقاء مخدع
ببلائه واليوم يوم أشنع
"دواد" أو صنع السوابغ "تبع"
فيها سنان كالمنارة أصلع
عضبا إذا مس الضربة يقطع
كنوافذ العبط التى لا ترفع

وكلاهما قد عاش عيشة ماجد وجنى العلاء لو ان شيئاً ينفع

• رؤية لغوية :-

هذه قصة إنسان ، سمات البطل فيها مختلفة عن الأولى والثانية ، فهو ليس كجون السراة لاه لاعب ، ولا كالثور الخائف المرتعد ، ولكنه فارس دارع " مستشعر حلق الحديد " (١) مقنع ، قل ما شئت في وصفه وفي شجاعته ، يلبس خوذة الحديد ، وحلق الحديد ، وقد لبس عدة الحرب زمناً طويلاً حتى أثرت تلك العدد في وجهه " وجهه من حرها يوم الكريهة أسفع " (٢) وقد اختار له فرساً تناسب قوته ، وتتحمل صولاته وجولاته ، فهي خوصاء تنظر بطرف عينها نشاطاً ، وهي سريعة العدو ، يعلوها صدرها ويهبط لدرجة أنها تقطع الحلق التي في حزام سرجها ، تعدو بسرعة وشدة ، قد حبس ابنها عليها واختلط لحمها بشحمها (٣) ، هذه الفرس ذاوية الضرع لم تحمل من زمن فهي شديدة .

١- ليت شعري ، ليت علمي ، تقول للرجل : استشعر خشية الله ، أي اجعله شعار قلبك ، ومستشعر : متخذ حلق الحديد شعاراً ولياساً ، لسان العرب مادة شعر .

٢- الأسفع : الأسود ، وأسفع : متغير .

٣- قال الأصمعي : وهذا من أخبت ما نعتت به الخيل لأن هذه لو عدت =

وبعد أن وصف شكل الفرس الخارجي عمد إلى وصف
نفسيتها فقال :

تأبى بذرتها إذا ما استكهرت إلا الحميم فإنه يتبضع
ثم عاد الشاعر إلى الفارس بعدما تناوله وتناول فرسه فقال :

بيننا تعنقه الكماسة وروغه يوماً أتيج له جرى سلفع

= ساعة لانقطعت لكثرة لحمها ، وإنما توصف الخيل بصلابة اللحم ، وأبو
ذؤيب لم يكن صاحب خيل ، ديوان الهذليين ، ص ١٦ .
ويعلق الدكتور عبد الجواد الطيب على هذا بقوله : ويرى صاحب
الصناعتين في هذا قول الأصمعي : لأن هذه الفرس لا تساوي درهمين ، أنه
جعلها كثرة الشحم رخوة تدخل فيها الأصبع ، وإنما يوصف بها شاة يضحي
بها ، وجعلها حروناً إذا حركت قامت ، أبو هلال العسكري ، الصناعتين ،
ص ٨٤ ثم أننا نجد أمراً القيس وهو من هو في الفروسية والإجادة في وصف
الخيال كما المعنا لم يسلم هو نفسه من هفات أخذت عليه بصدد وصفه للخيال
في أكثر من موطن ، المرزبانى ، الموشح ، ص ٣٠ ، ٤٢ .
وهكذا نرى أن الشعراء في هذا المجال وفي غيره قد خلطوا قولاً صالحاً
 وآخر سيئاً ، فلا يصح على أساس ما رأيناه من خطأ في وصف الخيل عند
شعراء هذيل أن نعمم القول بأن الهذليين كانوا لا يعرفون الخيل ، (هذيل في
جاهليتها وإسلامها) د/ عبد الجواد الطيب ، ص ٩٦ .

هذا الفارس في حياته وفي معاركه بين إقبال وإدبار ، وكر وفر ، تارة يقبل ، وأخرى يراوغ ويصارع إلى أن كان هذا اليوم الذي قابل فيه جرئ سلفه .

هي إذن بداية النهاية ، فقد التقى ببطل آخر ، يعدو به نهش المشاش كأنه صدع سليم رجعه لا يطلع ، يسرع به فرس خفيف القوائم سريع العدو كأنه صدع ، كأنه ظبي فتى قوى يرجع قوائمه في سلاسة وسلامة وخفة لا يطلع ولا يعرج في مشيته .

"فتناديا" هذا هو المسرح الذي ستدور عليه المعركة ، وفي رواية "فتناذرا" أى أنذر كل منهما صاحبه يخوفه نفسه ، وفي رواية "فتنازلا" أى نزل كل منهما عن فرسه ، وترجل كلاهما للقتال ، وكل هذه الروايات تصور بداية المعركة ، وما يحاوله كل خصم من إرعاد صاحبه وتخويفه ، كل واحد منهما يحاول بث الرعب في صاحبه ، صاح الأول منادياً على الثانى أن يقبل على حتفه وصاح الثانى إنه قادم للقاء ، "فتناذرا" ، كل واحد منهما يزمجر منفرأ ومهدداً ، "فتنازلاً" ، نزل كل واحد عن فرسه ليلتحم البطلان ، وترجل كل منهما للقتال ، "فتناديا" وتوافقت خيلاهما ، وكلاهما بطل اللقاء مخدع ، كلاهما مجرب الحروب ، يحرص على المجد وإحرازه ، هو فى يده ، ملك له ، لقد أحرز

لسنوات طوال ، لازمه ، عاش معه ، فهو يحميه بكل ما يملك من خبرة وقوة ، متحاميين المجد ، وفي رواية " يتتاهبان المجد " وقد علق شارح ديوان الهذليين على هذه الرواية بقوله " وهو أجود " (١) كل واثق ببلائه ، كل واثق بما يقدمه في مثل هذا الموقف ، يعرف طريقه جيداً ، ويتصور النهاية كما حدثت قبل ذلك ، وكما ستحدث بعد ذلك .

لكن اليوم مختلف ، والساحة مختلفة ، واليوم يوم أسفع ، ويوم أسود ، ويوم شنيع كريحه ، وعليهما ، عليهما معا ، إنهما أصبحاً شيئاً واحداً ، كلاهما قوى فتى واثق من نفسه ، أصبحا شيئاً واحداً ومصيراً واحداً يتتاهبان المجد ، عليهما مسرودتان ، عليهما درعان ، كلاهما في كفه يزينة ، أرأيت التداخل والالتحام ، لم يعد هناك بطلان ، وإنما هناك تلاحم يواجه مصيراً واحداً ، كلاهما متوشح سيفه .

ومع ذلك ، ومع كل هذه السيوف والدروع والرواحل والخبرة والدربة فقد آن الأوان وحان الحين ، كل واحد من البطالين ينتهز الفرصة للنيل من صاحبه ، فتخالسا نفسيهما ، كل واحد منهما اختلس الفرصة لينفذ إلى نفس صاحبه ، وحانت الفرصة لكليهما

في وقت واحد فتخالسا نفسيهما بنوافذ ، بضربات نافذة ، ضربات ليس لها علاج " كنوافذ العبط التي لا ترقع " وكلاهما قد عاش عيشة ماجد ، وجنى العلاء لو أن شيئاً ، لو أن مجداً أو علاء يبقى ويدوم .

• رؤية فنية :

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :

ساق أبو ذؤيب في بكاء أولاده ثلاث قصص ، صور في الأولى أولاده ومصيرهم ، وصور في الثانية حاله وقلقه ومصيره ومآله ، وصور في الثالثة حال الناس جميعاً مهما حشدوا من قوة ، ومهما أعدوا من عتاد فالمصير واحد ، ولا بد أن تأتي النهاية ، وقد اضطررنا الدراسة الفنية إلى تقسيم القصيدة إلى ثلاث قصص ، ولكن الواقع يؤكد أنها قصة واحدة تموج بالحياة ، ونماذجها ، نموذج مبهج ، ونموذج بائس متوجس ونموذج جاد في الحياة ، والنماذج كلها تأخذ حظها من الحياة سعادة أو شقاء ، ثم تنتهي الحياة بحلوها مرها .

• الشخصيات :

- الشخصية الأولى :

ليست لثور ، ولا لحمار وحشى ، ولا حتى لإنسان عادى ، ولكنها شخصية فارس ، اتخذ عدة الحرب له شعاراً ولباساً ، تمرس فى الحرب ، وأثرت فيه عدده ، وجهه من حرها يوم الكريهة أسفع ضمن عدد هذا الفارس فرس قوية تقطع حلق السرج من شدة حركتها وصعودها وهبوطها .

- الشخصية الثانية :

شخصية الفرس ، وقد عاب النقاد على أبي ذؤيب وصفه الفرس بهذا الأوصاف ، فالبعد الجسدى للفرس كما رسمه أبو ذؤيب لا يتناسب مع الفرس وإنما يناسب شاة يُضَحَّى بها كما قال أبو هلال العسكري ^(١) فقد رسم صورة للفرس وهى تتوخ فيها الأصبع من كثرة لحمها ، وفرس بهذا الصورة لو عدت ساعة لانقطعت ، ثم وصفها متتا ولا البعد النفسى لها فقال :
تأبى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فإنه يتبضع

فهي فرس حرة تعطى ما عندها من جهد وقوة ، فإذا ما
حركتها بساق ونحوه تركت العدو .

- الشخصية الثالثة :

شخصية فارس آخر قابل الفارس الأول وهو جري سلفع (١)
وله فرس خفيف القوائم في العدو كأنه ظبي لا صغير ولا كبير .

- الشخصية الرابعة :

في القصة ، شخصية جديدة ، مزج فيها الشاعر الفارسين
وجعل منهما شخصية واحدة ، تلبس شيئاً واحداً ، وتفكر بعقل واحد
وتتحرك في وقت واحد " فتتألفا " وتوافقا خيلاهما " " كلاهما بطل
اللقاء مخدع " " متحاميين المجد " عليهما مسرودتان " " كلاهما
في كفة بزيه " " كلاهما متوشح ذا رونق " " تخالسا نفسيهما بنوافذ "
كلاهما قد عاش عيشة ماجد ، وهكذا نرى أن هذه هي سمات
الشخصية الجديدة ، امتزج فيها الفارسان بهذه الصورة المتكاملة ،
وهكذا أراد الشاعر اكتمال الشخصيتين وتساويهما ، ومع ذلك لا بد
من القناء ولو بأيديهما .

١- السلفع : الشجاع الجري الجسور ، لسان العرب مادة سلفع .

• الأحداث :-

الأحداث فى هذه القصة قليلة ولكنها تبدأ من النهاية ، من نهاية القصة ، من نهاية الأحداث ، تبدأ القصة بنهاية البطل . ترجع إلى الوراء لنطلعنا على ماكان من هذا البطل قبل ذلك ، فقد خاض غمار الحروب حتى أثرت عليه الدرع وقد حميت عليه فى معارك كثيرة حتى أثرت فى وجهه . وتكشف لنا الأحداث أيضاً عندما يقول الشاعر " متحاميين المجد كل واثق ببلائه " عن معارك سابقة خاضها كل بطل وعلم من نفسه القوة والشجاعة ، ومن هنا فهو واثق ببلائه .

وتضعنا الأحداث فى موضع المواجهة بين البطلين ، وجهها لوجه :-

بينما تعنقه الكمأة وروغه يوماً أتيح له جريئ سلفع

ومن هنا تبدأ أحداث صغيرة ، وسريعة " فتنادبنا " و " تواقفت خيلاهما " وبعد تلاحق تلك الأحداث الصغيرة يصنع الشاعر فاصلا يصف فيه عدد الحرب للبطلين ، ثم يأتى بالحدث الأخير الذى ينهى به القصة (فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التى لا ترفع) وتنتهى القصة .

ونلاحظ هنا قلة الأحداث من ناحية وعدم تطورها من ناحية أخرى ، وكأنها أقصوصة ذات حدث واحد ، أو لقطة فريدة في الحياة.

• الصياغة :

استخدم الشاعر طريق السرد المباشر في هذه القصة وقد استخدم الكناية في التعبير وذلك في قوله " مستشعر حلق الحديد " كناية عن المداومة على لبسها حتى صارت شعارا وعلامة له . وكذلك قوله في وصف الفرس " يقصم جريها حلق الرحالة " كناية عن شدتها . واستخدم التشبيه وذلك في قوله في وصف الفرس " يعدو به نهش المشاش كأنه صدع " .

وقوله في وصف السنان " فيها سنان كالمنارة أصلع "

والسرد هنا مركز جداً فكلمة " فتاديا " يستطيع أن ننثرها في صفحات وهي تصور لنا وتحمل في باطنها وظاهرها تلك الصيحات التي يصيحها الأبطال في وقت القتال في محاولة لإرعاب الخصم وإذهاب عقله وتشيتت ليه . وكذلك كلمة " متحاميين المجد " فهي تحمل في ثناياها كثيرا من الكلمات والأحداث ، فقد خاض كل واحد منهما معارك كثيرة أحرز فيها

المجد ، وما عليه الآن إلا أن يحافظ على هذا المجد الذي وصل إليه .

• النهاية :-

نهاية القصة هي الموت ، ولكن الطريقة مختلفة ، مختلفة عن القصتين السابقتين . فإذا كانت القصة الأولى بين حيوان ضعيف وبين إنسان قوى مدجج بالسلاح ، وإذا كان هذا الحيوان لم يبد مقاومة ، وإنما أطلق الصائد سهامه فحصلت القطيع حصداً ، إذا كان الأمر كذلك ، وإذا كانت القصة الثانية بين حيوان ضعيف أيضاً ، وحيوانات ضارية وإنسان مدجج بالسلاح وإذا كان هذا الحيوان الضعيف قد دافع عن نفسه بكل قوته وانتصر على الكلاب ثم قهره الصائد وقتله ، إذا كان الأمر في القصتين كذلك فإن القصة هنا تدير معركة بين الإنسان ونفسه بين الإنسان والإنسان ، وليس هناك هازم ولا مهزوم فالإنسان يدمر نفسه بنفسه ، ويقتل نفسه بيده " فتخالسا نفسيهما بنوافذ " قال بطل هنا قوى والخصم بالقوة نفسها ، وقد بذل كل واحد قوته ، وهي قوة متساوية متعادلة والنهاية هي أيضاً الموت وإن اختلفت الطرق .

﴿ قصة أم عمرو ﴾

• تقديم •

أبو ذؤيب شاعر محب متعشق للجمال أينما وجدته ، غزله رقيق ، يخلو من الفحش ، وقد تحدث في قصائده عن عدد من النسوة ، تغزل فيهن ، منهن " أم عمر " تلك التي قال فيها :-

أبي القلب إلا أم عمرو وأصبحت تحرق نارى بالشكاة ونارها ^(١)
ومنهن " أسماء " التي قال فيها :-

ألا زعمت أسماء أنى لا أحبها فقلت بلى لولا ينازعنى شغلى
ومنهن " خثماء " التي قال فيها أرق قصائده :-

وأرى البلاد إذا سكنت بغيرها	جدبا وإن كانت تطل وتخصب
ويحل أهلى بالمكان فلا أرى	طرفى بغيرك مرة يتقلب
وأصانع الواشين فيك تجملا	وهم علىّ ذو ضغائن دؤب
وتهيج سارية الوباح من ارضكم	فأرى الجناح لها يحل ويحب

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٢١ .

وأرى العدو يحبكم فأحبه إن كان ينسب منك أو يتنسب^(١)

ومنهن " أم وهب " التي قال فيها :-

تؤمل أن تلاقى أم وهب بمخلفة إذا اجتمعت ثقيف^(٢)

ومنهن " ليلى " التي قال فيها :-

أمن آل ليلى بالضجوع وأهلنا بنقف قوياً والصفيّة عير^(٣)

ومنهم " أم الحويرث " التي قال فيها :-

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل نعم خالد إن لم تعقه العوائق^(٤)

وغيرهن في أشعاره ، هو متعشق للجمال أينما وجد ، وقد

ترتب على هذا أن ذاعت بعض علاقاته ، وشاعت أخباره ،

وراحت قيثاره الشعر تعزف لحن هذه القصة التي اخترنا لها عنواناً

يليق بها ... " أم عمرو " .

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٦٤ .

٢- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٩٨ .

٣- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

٤- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٥١ .

• رؤية لغوية :-

هذه قصة واقعية حدثت بالفعل ، وعاش أحداثها شاعرنا أبو ذؤيب ، وصار مادة على ألسنة الناس يحكونه ويتبادلون الحديث فيه ويدلى كل واحد منهم بدلوه . أشخاصها موجودون في واقع الحياة .

حمل هذا الشاعر حكايتهم ، وتأثر بها ، وعاشها ونقلها إلينا بما فيها من صراع وخلاف ووجهات نظر .

وقد يكون الشاعر عنصراً فاعلاً في القصة ، فيروح يحكى ويصور ، ويدافع ويزين ، وقد يكون في القصة أطراف أخرى لها نفس الشاعرية فتدلى بدلوها .

وقصة " أم عمرو " قصة مثيرة ، كما صورتها لنا الأشعار ، وهي ذاتها شخصية لها أبعادها ، فهي امرأة ذات دلال ، وذات جمال ، تتعلق بالرجال وتوقعهم في حبالتها ، أحبت في أول أمرها ، أو علقت في بداية حياتها رجلاً يسمى " عويم بن مالك " (١) وكان

١- كما ورد في كتاب الأغاني ، ج ٦ ، ص ٢٧٤ . وفي هامش الأغاني وردت إشارة إلى هذا الاسم كما أورده ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء =

عويم هذا يتعشق هذه المرأة ويهيم بها . ولعل الناس قد تسامعوا بذلك ، وراحت العيون تترصد الخطى وسمع أهلها بتلك الأقاويل ، وضيقوا عليها الخناق ، ومنعوها من اللقاء . فلجأ المحب إلى الحيلة المعتادة ، وجعل بينه وبينها رسولا ، وكان هذا الرسول هو أبو ذؤيب ، ينقل الرسائل بينهما ويردد الآهات واللوعات ، ويتلو أحاديث الهوى دون خشية الرقباء ، ووقع أبو ذؤيب موقعا حسنا من قلب تلك المرأة ، وأعجبها فيه شبابه وقوته ، فتركت رجلها الأول وعفت بأبي ذؤيب ، وراحت تبثه أفانين العشق والهيام ، حتى وقع أبو ذؤيب أسير هواها ، وراح يتحرك شوقا إليها ، والعيون تلمح وتصرخ وراحت القبيلة مرة أخرى تحكى الحكاية الجديدة بين " أم عمرو " وبين أبي ذؤيب . ولم يستطع كتمان هذا الجوى ، وذاك الشوق ، وراح يعزف على قيثارة الشعر ألحانه ، ويسمع الصحراء أنغامه ، وراح يقول :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها	والأطلوع الشمس ثم غيارها
أبى القلب إلا أم عمرو وأصبحت	تحرق نارى بالشكاة ونارها
وعيرها الواشون أنى أحبها	وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

= ومالك بن عويم " وورد فى خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ، وج ٣ ،

ص ٥٩٧ يقال له وهب بن جابر .

فلا يهأ الواشون أنى هجرتها وأظلم دونى ليلها ونهارها
فإن أعتذر منها فإنى مكذب وإن تعتذر يردد عليها اعتذارها

وأصبح الناس ، وهم يتحدثون ، وقال نسوة فى القبيلة : أم
عمرو تحب أبا ذؤيب ، وقال الرجال ذلك . وعيرها الحاسدون
والواشون أنه يحبها ولا ذنب لها فى ذلك ولا عار عليها . فماذا
تفعل أم عمرو ؟

وبعد هذه الشائعات وجدت أم عمرو نفسها وقد منعت من
زيارته ، ومنعه الأهل من زيارتها . حاول أبو ذؤيب مرات
ومرات ، والتمس ساعات الليل الساكنة ، الخالية من الرقيب ،
ولكن الليل صار كالنهار فى عدم جدواه ، وقد سر الواشون بذلك ،
فلا سرورا ولا فرحوا ، قالها أبو ذؤيب تألما وتضجرا من الواشين .
وراح الناس يسألونه عن هذه العلاقة وراح يتملص منهم ويعمى
عليهم ، فأعلن لهم أن ليس بينه وبينها إلا كما بينه وبين الأخريات ،
ولكن الصب تفضحه عيونه " فإن أعتذر منها فإنى مكذب " وراحت
الفتيات والنسوة يلاحقن أم عمرو فى كل طريق ، وعند كل مجلس
والسؤال مكرور معاد ، سؤال واحد يتردد على الألسنة ، يدور
السؤال فى خبث ، يعضده الهمزات واللمزات ، وهى ترد على كل
هذا بالنفى ، وبأنها إشاعات حاسدة ، وترهات حاقد ، ولكن أنى لها

ذلك ، وعيونها ناطقة ، وأنفاسها متلاحقة " وإن تعتذر يردد عليها
اعتذارها " .

هذا هو الفصل الأول من الرواية سجله أبو ذؤيب شعراً ،
وأكمّله الناس نثراً ، وإشاعة وهمزاً ولمزاً . ثم تتقلنا الأحداث إلى
الفصل الثاني ، وأحداثه أكثر إثارة .

والفصل الثاني عنوانه :

﴿ سيفان في غمد واحد ﴾

• وأحداثه :-

تبدأ بعد أن ضيق الخناق على أبي ذؤيب ، ولم يستطع
الوصول إلى محبوبته ، فلجأ إلى ابن أخته خالد بن زهير ، وتطوع
خالد للقيام بهذا العمل ، وحمل رسائل الشوق والهناء من أبي ذؤيب
إليها ، إلى أم عمرو " .

ومرت الأيام ، ومالت أم عمرو مرة أخرى إلى الشباب
والفتوة ، إلى خالد بن زهير ، إلى ابن أخت أبي ذؤيب . يالها من

أحداث ، لو لم تكن واقعا يرددها التاريخ لقلنا إنه خيال شعراء .
 مرة أخرى بعد أن كبر أبو ذؤيب ، وغضب الخال والمحب ،
 وغضب المحب منها ، وغضب الخال منه ، وراح الناس يتتدرون
 ويشيرون ويضحكون . وراحت أم عمرو تهدهد عواطف أبي
 ذؤيب النائرة ، خوفا من غضبته ، وراحت تلوح له بالحب والغرام
 ، وأرادت أن تجمع بين العاشقين وأن تمكن لنفسها عند الرجلين ،
 وما كان أبو ذؤيب ليرضى بهذا ، وجابه أم عمرو بما تكرهه ،
 ووضح لها أن هذا أمر لا يستقيم ، وقال لها حين جاءتته تعتذر إليه :
 تريدن كيما تجمعيني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد^(١)
 وأهمل شأنها ، وراح يوجه حديثه ولومه وعتابه إلى خالد بن
 زهير إلى ابن أخته :-

أخالد ماراعيت من ذي قرابة	فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدى
دعاك إليها مقلتها وجيدها	فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كقرراق السراب إذا جرى	لقوم وقد بات المطى بهم تحذى
فأقسمت لا أنفك أحذو قصيدة	أدعك وإياها مثلاً بعد ^(٢)

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

٢- المرجع السابق : الصفحة نفسها .

هو إذن التهديد بفضح خالد وأم عمرو ، والانتقام منهما .
 كيف تفعل ذلك يا خالد ؟ وأين حق القرابة ؟ ، وأين لأمانة ؟
 وكيف وقعت في أسرها ؟ وسيطر عليك حبها ؟ يمينا مؤكدة ،
 لأجعلك وإياها عبرة لمن يعتبر . وسأرسل قصائدي منددا بفعلتك .
 وبر أبو دؤيب بقسمه ، وراح يدبج القصيدة تلو القصيدة عائيا
 على خالد ، فاضحا فعلته : -

خليلي الذي دلى لغى خليلتي	فكلا أراه قد أصاب عرورها
فشأئنها إنى أمين وإنى	إذا ما تحالى مثلها لا أطورها
أحاذر يوما أن تبين قرينتي	ويسلمها جيرانها ونصيرها
رعى خالد سوى ليالى نفسه	توالى على قصد السيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغيه	وفى النفس منه فتنة وفجورها
لوى رأسه عنى ومال بوده	أغانيج خود كان قدما يزورها
تعلقه منها دلال ومقللة	تظل لأصحاب الشقاء تديرها
وما يحفظ المكتوم من سر أهله	إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه	على ذاك منه صدق نفس وخبرها
فإن حراما أن أخون أمانة	وآمن لنفسا ليس عندى ضميرها (١)

وهل يسكت خالد على هذه الفضائح ؟ وتلك الاتهامات ؟

لقد راح يفند تلك المقولات ويرد على خاله قوله :-

لا يبعدن الله بك إذا غزا
و كنت إماما للعشيرة تنتهى
لعلك إمام أم عمرو تبدلت
فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها
فإن التى فىنا زعمت ومثلها
تنقذتها من عبد عمرو بن مالك
يطيل ثواء عندها ليردها
وقاسمها بالله جهدا لأنتم
فلم يغن عنه خدعه حين أعرضت
ولم يلف جلدا حازما ذا عزيمة
فإن كنت تشكو من قريب مخانة
وإن كنت تبغى للظلامه مركبا
نشأت عسيرا لم تدبث عريكتى
فلا تك كالثور الذى دفنت له
ولا تسبقن الناس منى بحزرة
وإياك لا تأخذك منى سحابة

فسافر والأحلام جم عثورها
إليك إذا ضاقت بأمر صدورها
سواك خليلا شامئى تستحيرها
وأول راضى سنة من يسيرها
لفيك ولكنى أراك تجورها
وأنت صفى النفس منه وخيرها
وهيات منه دورها وقصورها
ألد من السلوى إذا مانشورها
صرعته والنفس مر ضميرها
وذا قوة ينفى بها من يزورها
فتلك الجوازي عقبها ونصورها
ذلولا فإلى ليس عندى بعيرها
ولم يعمل يوما فوق ظهري كورها
حديدة حتف ثم ظل يشيرها
من السم مذرور عليها ذرورها
ينفر شاء المقلعين تحريرها^(١)

ويصمت الشاعران ، وتظل القبيلة تحكى وتحكى ، وتحمل الرياح تلك الحكايات ، حتى تتلاشى مع رياح الصحراء . وتذهب أم عمرو ، وأبو ذؤيب ، وخالد بن زهير ، وتبقى الحكاية خالدة فى أشعار الهذليين .

• رؤية فنية :-

موضوع القصة :-

القصة من النوع الواقعى الذى حدث بالفعل ، وقد صور لنا أبو ذؤيب أحداث القصة ، وصور تلك الأشعار التى دارت بين خالد بن زهير وأبى ذؤيب مرة أخرى فى صنع بقية أحداثها ، وهذا الشعر المتبادل ، مرة من أبى ذؤيب يتحدث فيه عن حبه لأم عمرو وتعلقه بها ، وحديث الناس عن هذه العلاقة ، وترصد أهلها له ، وكذلك حديث أبى ذؤيب الذى يكشف فيه عن اختياره لخالد بن زهير ليكون رسوله إلى " أم عمرو " وخيانتة هذه الأمانة ، وفى شعر خالد بن زهير بقية القصة .

ومن هنا فموضوع القصة ، وهى من قصص الحب والغرام ،

يتناول قصة امرأة لعوب تعلق بالرجال ، وتلقى شباكها عليهم ، وقد

صورت القصة لنا تعلقها برجل قبل أبى ذؤيب ، ثم بأبى ذؤيب .

ثم يخالد بن زهير ، وتصور لنا الصراع الذي دار بين هؤلاء الرجال على تلك المرأة .

• الشخصيات :-

الشخصية المحورية في القصة ، تلك التي تحور الأحداث وتحركها وتتميها هي شخصية " أم عمرو " وقد رُسِّمَت القصة شخصية " أم عمرو " فبعدها الجسمي وبعدها الاجتماعي وبعدها النفسي .

• البعد الجسمي :-

لقد صورت الأبيات " أم عمرو " على أنها امرأة جميلة يقع في حبها الرجال لا لأنها امرأة لعوب فقط ، ولكن لجمالها الجسدي ، وقد لا يُعَوَّل على وصف المحب لامرأته ، لأنه يراها هكذا حتى ولو لم تكن جميلة .

ولكن الوصف الصادق الذي نطق به أبو ذؤيب لها بعد ما خائنه وهجرته ومالت إلى خالد ، وراح هو يعاتب خالداً في ذلك فقال :

تعلقه منها دلالٌ ومقلّة تظل لأصحاب الشقاء تدير^(١)

ويكرر وصفه لعينها وجيدها ، وأنهما السبب في إقبال خالد
عليها وهو يتحدث عن تجربة ، فقد سبق لهاتين العينين وذلك الجيد
أن أمالا شاعرنا إليها فيقول : -

دعائك إليها مقلتها وجيدها فملت كما مال الخب على عمد^(٢)

مرة أخرى يؤكد أن جيدها ومقلتها هي السبب في الغرام وأما
التجد الاجتماعي ، فقد كشفت لنا الأبيات عن النميمة والوشاية التي
وجدت في ذلك الوقت ، وأصبحت تهدد علاقة أبي ذؤيب بأم
عمرو :

أبي القلب إلا أم عمرو وأصبحت تحرق ناري بالشكاة ونارها
وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها^(٣)

وقد أثرت هذه النميمة ، وتلك الوشاية عليها ، فراححت تتكرر
هذه العلاقة وراح الناس يكذبونها في إنكارها " وإن تعتذر يُرُدد
عليها اعتذارها " .

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

٣- الديوان ، ج ١ ، ص ٢١ .

• وأما العهد النفسى :-

وهو حصيلة البعد الجسمى والبعد الاجتماعى ، فإننا نجد أم عمرو وهى تتلاعب بأبى ذؤيب ، هجرا ، وتبديلا للأخلاء :-

فإن تصرمى جلى وإن تبدلى خليلا ، وإحداكن سوء قصارها^(١)

وبلغ بتلاعب أم عمرو بأبى ذؤيب ، أنها أرادت أن تجمع بينه وبين ابن أخته " تريدن كيما تجمعينى وخالداً " .

وأما أبو ذؤيب فهو كما قلنا محب لأم عمرو ، ورغم ما تقوم به من هجر وصرم فإن أبا ذؤيب يحفظ العهد ، ويكتم السر :-

فإنى إذا ما خلة رث وصلها وجدت بصرم واستمر عذارها

حالت كحول القوس طلت وعطلت ثلاثا فزاع عجسها وظهارها

فإنى جدير أن أودع عهدها بحمد ولم يرفع لدينا شئها

فهو يودع حبه وعهده فى صمت ، ولا ينطق بكلام قبيح ،

وهو أيضاً يرفض أن يكون رجلاً ضمن رجال كثيرين عند أم

عمرو ، هو سيف وحده ولا يجمع السيفان فى غمد :-

تريدن كيما تجمعينى وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

وأما شخصية خالد بن زهير ، فهي شخصية واضحة وصريحة ، تتعامل مع الواقع ، الواقع الذي جابه به أبا ذؤيب بقوله :-

فلا تجز عن من سيرة أنت سرتها وأول راضى سنة من يسيرها
فإن التى فىنا زعمت ومثلها لفىك ولكنى أراك تجورها

وهو يعلن لأبى ذؤيب أنه إن كان يشكو من قريبه ، فهو الذى بذر الشر والخيانة وعملها له :-

فإن كنت تشكو من قريب مخانة فلك الجوازي عقبها ونصورها^(١)

• الأحداث :-

لم تأت الأحداث مرتبة فى القصة ، ولم تبدأ الأحداث من بدايتها ، وإنما بدأت مع تصاعدها وتشابكها ، بدأت الأحداث بخيانة خالد عهد خاله ، وحبه لأم عمرو ، وشيوع ذلك على السنة الناس ، وهذا الحدث يدفع بأبى ذؤيب إلى عتاب خالد ، وإلى التهديد بفضيحته ، وإلى سوق القصيدة تلو القصيدة فيه وفيها حتى يصبح أضحوكة . وهذا التهديد من أبى ذؤيب يحرك الأحداث وينمىها ويصعدها مرة أخرى عند " أم عمرو " التى خافت على نفسها من

الفضيحة ، وراحت تستعطف أبا ذؤيب ، وتستميله نحوها ، وكان
أن رفض أبو ذؤيب هذا العرض :-

تريدن كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
وتدافعت الأحداث عند خالد ليطلعنا على الأحداث السابقة
فخيانة خالد ليست بداية القصة ، وإنما سبقها خيانة أخرى ،
وسبقها أحداث أخرى من أبي ذؤيب :-

تنقلتها من عبد عمرو بن مالك وأنت صفى النفس منه وخيرها^(١)

ويكشف خالد بهذا عن علاقة أبي ذؤيب القديمة بأم عمرو ،
وقد كان رسولا إليها ، ثم استولى عليها مع صفاء النفس الذي كان
بينه وبين رجلها . ومن هنا نكتشف حب أبي ذؤيب لها :-

"أبي القلب إلا أم عمرو" ونكتشف "عيرها الواشون" ثم
الهمج "فلا يهنا الواشون أنى هجرتها" ثم اعتذاره أنه لا يحبها
"فإنك منها والتعذر" ثم شكوى القلب من هذا الجهد "جمالك أيها
القلب الجريح" (٢) .

ثم الخيانة مع خالد "خليلى الذى دلى لغى خليلتى" ثم غضب

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ٦٨ .

أبي ذؤيب لميلها إليه :-

لعلك إما أم عمرو تبادلت سواك خليلاً شامئ تستخيرها (١)

ثم احتدام الموقف بين أبي ذؤيب وخالد :-

فلا تجز عن من سنة أنت سرتها وأول راض سنة من يسيرها

ثم إشعال الموقف من جانب الواشين :-

وقد أكثر الواشون بيني وبينه كما لم يغب عن غي ذبيان داحس (٢)

ثم هدوء النفس والصلح :-

فإني على ما كنت تعهد بيننا وليدين حتى أنت أشمط عانس

لشائنه طول الضراعة منهم وداء قد أعيا بالأطباء ناجس (٣)

ومن هنا نكتشف نمو الأحداث وتطورها في هذه القصة حتى

تصل بنا إلى النهاية .

١- الديوان ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

٣- الديوان ، ج ١ ، ص ١٦١ ، والضراعة : الصغارة ، والتجيس : الذي

لاشفاء منه .

• الصياغة :-

شاعرنا لم يبدأ الأحداث من بدايتها ، وهو حُر في ذلك وقد تكشفت لنا الأحداث السابقة على لسان الأبطال بعد ذلك .

وقد عرضها هنا عن طريق الرسائل المتبادلة ، أو الشتائم المتبادلة بين أبي ذؤيب وبين خالد ، لنكتشف من خلال هذه الرسائل بعلاقة أبي ذؤيب القديمة " بأم عمرو " وخيانتته لصاحبه الأول .

وكذلك من الرسائل المتبادلة بين أبي ذؤيب و أم عمرو عندما أرسلت تستعطفه ، ورد عليها رافضاً أن تجمع بينه وبين خالد في غمد واحد .

وقد استعان الشاعر بالتصوير في مواقف كثيرة تتجلى في قول خالد :-

وإن كنت تبغى للظلمة مركبا ذلولا فإني ليس عندي بعيرها

وتتجلى في قول أبي ذؤيب :-

تريدن كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

• البيئة :-

البيئة التي عرض لها الشاعر هنا ، هي البيئة الاجتماعية تلك البيئة التي تضج بالغش والخيانة من ناحية ، وتعج بالواشين والحاسدين من ناحية أخرى . وتوقع الخيانة من ناحية ثالثة .

فمن ناحية الغش والخيانة ، فأبطال القصة يصنعون ما يحلو لهم دون وازع من ضمير أو خلق . فعلت هذا أم عمرو ، عندما خانت رجلها الأول - ولعله لم يكن الأول - مع أبي ذؤيب ، ثم تركت أبا ذؤيب إلى خالد ، ثم راحت تستعطف أبا ذؤيب لتجمع بينه وبين خالد ، وفعل هذا أبو ذؤيب وقد كان رسول غرام إليها ثم عشقها ، وفعل ذلك خالد وقد كان رسول خاله إليها ثم عشقها " خليلي الذي دلى لفي خليلتي " هذا الغش وتلك الخيانة يعكس بيئة القصة . وبقية الشخصوس التي تبدو لنا من بعد :-

وعيرها الواشون أنى أحبها فلا يهنأ الواشين أنى هجرتها

وأبو ذؤيب يتوقع الخيانة من محبوبته ، فمرة يخاطب محبوبته

يقوله :-

فإن تصرمى حبلى وإن تبدلى
خليلاً وإحداكن سوء قصارها (١)
ومرة أخرى يقول للمحبة :-

فإن تصرمى حبلى وإن تبدلى
خليلاً ومنهم صالح وسميج (٢)

• النهاية :-

هذه قصة واقعية لأم عمرو ، وأبي ذؤيب ، وغيرهما من
الشخص التي بدت في القصة ، تجمعت خيوطها وتشابكت على
لسان أبي ذؤيب ، ولسان خالد واشتعل أوارها ، واحتدم الصراع
فيها ، وهدد أبو ذؤيب وتوعد ورد عليه خالد بما أفحه وأسكته .
وكما حمل لنا الشعر أحداث القصة ونقلها إلينا ، كذلك حمل لنا
علاقة أبي ذؤيب بخالد بعد ذلك ، وإن كان قد سكت عن " أم
عمرو " وحق له أن يكس ، فقد تعرضت سيرة المرأة للهوان .

يحكى لنا ديوان الهذليين بعد الأحداث قوله : ثم إن خالد بن
زهير اشتكى فلم يعده أبو ذؤيب ، فقال أبو ذؤيب في ذلك :-

ألا ليت شعري هل تنظر خالد عيادي على الهجران أم هو يئس

١- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٢٨ .

٢- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٦٠ .

فلو أنني كنت السليم لعدتني سريعا ولم تحبسك عنى الكوادس
وقد أكثر الواشون بينى وبينه كما لم يغب عن غيّ ذبيان داحس
فإنى على ما كنت تعهد بيننا وليدين حتى أنت أشمط عانس^(٣)

وهى نهاية طبيعية لذلك الصراع الذى دار على هذه المرأة ثم
خمد بمرور الأيام ، وحل محله الصفاء والوثام .





www.hothib.com

قصص ساعدة بن جؤية (١)

القصة الأولى وردت في قصيدة له ، يتحدث فيها عن رحيل المحبوبة ، وترك أهلها . وما أصابه من وجد وشوق لمحب وبته . وقد هيّحه رؤيته للدمن والرسوم ، فأصبح سقيماً يحتاج إلى عزاء ومواساة ، وقد اشتد وجده بها .

يقول في مقدمة القصيدة :-

أهاجك مغنى دمنة ورسوم لقليلة منها حادث وقديم
عفا غير إرث من رماد كأنه حمام بألباد القطار جثوم
فإن تك قد شطت وفات مزارها فأتى بها - إلا الغراء - سقيم^(٢)

هذه هي مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصة . وقد أتت في

ثلاثة أبيات فرغ بعدها الشاعر لسوق قصته فقال :-

١- ترجم له محقق ديوان الهذليين ، فذكر أنه ساعدة بن جؤية أخو بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

وقد كان أبو ذؤيب الهذلي راوية له " الشعر والشعراء " ج ٢ ، ص ٦٥٧ .

٢- ديوان الهذليين ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

وما وجدت وجدى بها أم واحد
 رآته على فوت الشباب وأنها
 فشب لها مثل السنان مبراً
 وألزمها من معشر يعضونها
 فأصبح يوماً فى ثلاثة فتية
 وقدم فى عطاء فى شرفاتها
 بذات شذوق مستقل نعامها
 فلم ينتبه حتى أحاط بظهوره
 فورك لنا لا يثتم نصله
 ترى أثره فى صفحته كأنه
 وصفراء من نبع كأن عداها
 كحاشية المحذوف زين ليظها
 وأحصنه تجر الظبات كأنها
 فألهاهم بائين منهم كلاهما
 وجاء خيلاه إليها كلاهما
 فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به
 فقامت بسبت يلعب الجلد وقعه
 إذا أنزفت من عبرة يعمتهم

على النأى شطاء القذال عقيم
 تراجع بعلا مرة وتيم
 أشم طوال الساعدين جسيم
 نوافل تأتيها به وغنوم
 من الشعث كل خلة ونديم
 نعائم منها قائم وهزيم
 بأدبارها جناح الظلام رضم
 حساب وسرب كالجراد يسوم
 إذا صاب أوساط العظام صميم
 مدارج شبتان هن هميم
 مزعزة تلقى الثياب خطوم
 من النبع أزر حاشك وكتوم
 إذا لم يغيبها الجفير حجيم
 به قارب من النجيع دميم
 يفيض دموعاً غريبين سجوم
 فلا ريب أن قد كان ثم لحيم
 يقبض أحشاء الفؤاد إليهم
 تسائلهم عن حبها وتلوم

فبينما تنوح استبشروها بحبها
 فلما استفاقت فجّت الناس دونه
 وخرّت تليلاً لليدين ونعلها
 فما راعهم إلا أخوهم كأنه
 يحفّض ريعان السعاة كأنه
 نجاء كُدُر من حمير أبيدة
 يُرنّ على قب البطون كأنها
 على حين أن كل المرام تروم
 وناشت بأطراف الرداء تعوم
 من الضرب قطاع القبال خديم
 بغادة فتحاء الجناح لحوم
 إذا ماتنحى للنجاء ظليم
 بفائله والصفحتين كدوم
 ربابة أيسار بهن وشوم^(١)

• موضوع القصيدة :-

هذه القصة تصور امرأة ، عاشت في مجتمع ، أو في بيئة
 تنظر إلى المرأة العقيم على أنها أرض قاحلة جرداء . وقد طال
 انتظار المرأة للولد فلم يأت .

وطال أمها في الحمل ولم تحمل . وراح القلق يسري في
 حناياها ، والشباب يدبر ويتقهقر ، وجذوته تخبو ، والشعر الأبيض
 يسري في رأسها سريان النار في الهشيم ، وتثيم ويراجعها البعل
 وتثيم . وراح الخوف يدب في عظامها ، ويسري بين ضلوعها .
 والهمس يتمشى حولها . ويتحول الهمس إلى علق . والنظرات إلى

تساقلات تدور . والزوج مبغض لها ، نافر منها ، كاره لمعاشرتها
والصديقات يقدمن لها المشورة ، وهي تنفذ كل مشورة بحذافيرها
كم استمعت لنصحين ، وكم بذلت من أجل هذا الولد . ولكنه لم
يأت . ومررت سنوات العمر ، فإذا هي عجور سمراء . يثار إليها
زوجها في استهانة ، ولا يأبه بها أحد . يالها من شجرة عتيقة
لاتثمر ، ويالها من أرض قاحلة جرداء لا تثبت .

وهي على هذه الحال ، أحسّته ، شعرت به يسرى في تلك
الأحشاء التي طال انتظارها . شعرت بالحمل . حملت وولدت .
رأته على فوت الشباب وأنها تراجع بعلاً مرة وتقيم .

وشب هذا الولد لها . فتياً قوياً محارباً جلدأً عنيداً ، يُشمر
برجاله إذا مال حرب شبّ سعيها .

وعاد إلى المرأة زهوها ، واعتدل عودها بعد تقوس ، وصار
لها دورها ومكانتها بين قومها . وضحكت لها الأيام . وعاشت
سعيدة بهذا الفتى .

فشب لها مثل السنان مبرأ أشم طوال الساعدين جسيم
وألزمها من معشر يعضونها نوافل تأتيها به وغنوم
ومرت الأيام ، والقبيلة تتحدث عن شجاعته وبسالته ونجده

إلى أن جاء هذا اليوم . يوم حمل فيه سيفه ورمحه وعدة قتاله ،
وسار في نفر من قومه ووسط هضاب طويلة ، ووسط قلال الجبال
وشماريخها ومرتفعاتها أحاط بظهره نفر كثير (حساب وسرب
كالجراد يسوم) . هي إذن المواجهة الضارية .

فورك ليساً ليناً ، نصله إذا صاب أوساط العظام صميم^(١)

لقد حمل عليهم بسيفه ، بسيف لا تردّ ضربته وكذلك راح
بقوسه وصوتها مثل صوت الرياح الشديدة التي تحطم مامرت به .
لقد تحصّن بعدده هذه ودافع بها عن نفسه .

وأحصنه ثجراً الظبات كأنها إذا لم يعيها الجفير حميم
وسط هذا الجحيم المستعر ، سقط اثنان من العدو ، والدماء
تنزف منهما ، وشغل الباقي بهما ، فاهتباها فرصة وفر بعيداً عن
المواجهة غير المتكافئة بينه وبين هؤلاء .

فألهاهم باثنين منهم كلاهما به قارب من النجيع دميم

١- في اللسان : ورك الذنب عليه ، حملة . وقد استشهد بهذا البيت وقال :
واستعمله ساعدة في السيف . ونصل صميم : أي يصمم في العظم . وورك
للضرب أي أماله للضرب حتى ضرب به يعنى السيف (لسان العرب مادة
ورك) .

وأما خليلاه فقد فرّا ، فرّا بعد رؤيته وقد أحيط به . ودمعت
العيون ، ولم يصدق كل منهما ما حدث . أصبح أنه قد فقد ؟ ومن
منهما يستطيع نقل الخبر إلى أمه ؟ وهل أحد بمستطيع ؟ الخبر
جسيم ، والمصاب فادح على وحيد أمه التي رآته على يأس وشماتة
عدو ومهانة عشير .

وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا غر بهن سجوم
فقالوا عهدنا القوم قد حصدوا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم
ويالها من لحظة . قامت فيها الأم :-

قامت بسبت يلعب الجلد وقعه يقبض أحشاء الفؤاد أليم
قامت كما تقوم أى تكلى فقدت وحيدها ، فعلت كما تفعل ،
وكما هى العادة ، عمدت إلى نعل من جلود البقر ، سيور من الجلد
، قامت تلطم جلدها بالنعال لظما يحرق الجلد ، ولظما يقبض أحشاء
الفؤاد ، وأى فائدة لبقائها بعد ذهاب ولدها ؟ لقد عز عليها أن تبقى
بعد فقد ولدها :-

إذا أنزفت من عبرة بممتهم تسائلهم عن حبه وتلوم
مع كل عبرة من عبراتها يأتى السؤال لهؤلاء الأصحاب ،
ويأتى معه اللوم والتوبيخ والتفريع . كيف سولت لهم أنفسهم

الفرار؟ وهل هم في حاجة إلى لوم أو تقريع؟ إن دموعها لهي أقسى من السياط .

وبينما هي على هذه الحالة ، وبعد أن ألهبت نفسها بسياط من نار ، وبعد أن كلّت يدها وأدمت جسمها ، راحت تتوج على ولدها ، راحت تئن وتتوجع .

وبينما هي على هذه الحالة ، وبعد أن فتّ الخور والضعف في جسمها بشروها بعودة ولدها سليماً في صحة وعافية :-

فلما استفاقت فجّت الناس دونه وناشت بأطراف الرداء تعوم

فرقت الناس بيدها ، تعوم ، تسبح من على أكتاف الناس ، تطير في الهواء ثم خرّت صريعة ضعفاً ، وقد تحول النعل إلى قطع صغيرة من إثر الضرب والولد يقدم على أمّه ، وسط روع الحاضرين في صحة وعافية . يطرح الناس خلفه ، ويتقدم نحو هذه الأم الملتاعة .

والبقية معروفة سجلها في بداية قصته بقوله :-

وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شطاء القذال عقيم

وبهذا ينهى الشاعر قصته وقصيدته في آن واحد .

• رؤية فنية :-

ربما كانت هذه القصة أقرب القصص الهذلى إلى الكمال
الفنى فى اكتمالها ، وفى نضجها الفنى ، ففنها العقدة ، وفيها الحكمة
، وفيها الشخصيات النامية المتحركة ، وفيها الحل والنهاية .

ونتحدث أولاً عن :-

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :-

وقد بين الشاعر وجه الارتباط بقوله :-

وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شطاء القدال عقيم

لقد ساق الشاعر فى بداية قصيدته رحيل المحبوبة ، وكيف
بكر أهلها بالرحيل ، وقد كان هذا دأبهم دائماً ، فهم فى ترحال دائم
، وهذا من سوء حظه .

لقد راح يفكر فيها ليله ونهاره ، يرى صورتها أمام عينيه ،
ويؤرقه البرق من ناحيتها فيهبجه .

ثم يتذكر الأماكن التى رحلت إليها فى حنين وشوق ووجد لا
يعدله وجد ولا وجد تلك المرأة العجوز التى رزقت بولد على كبر ،
ثم أخبرت بفقده ، ثم تبين كذب الخبر وعودة ولدها فى صحة

وعاقبة .

وهكذا نرى ارتباط القصة بمقدمة القصيدة وعدم انفصالها عنها .

• الشخصيات فى القصة :-

- الشخصية الاولى نى القصة هي شخصية الأم . وقد جاءت فى القصة بأبعادها مبسطة ، مرسومة واضحة .

فالبعد الجسمى لها أنها : " شمطاء القذال " عجوز قد شاب شعرها . وأدبر شبابها وغارت عيناها ، وانطفأ بريقها .

وأما البعد الاجتماعى : - فى بيئة تعتمد على الولد ، رأس مال المرأة وعزها وجاها وسيادتها - فهو أنها لم تتجب ، عقيم ، تراجع بعلا مرة وتتييم . وقد راح زوجها يعيرها بذلك . وراحت النسوة الأخريات ينظرن إليها باستهانة " ألزمها من معشر ييغضونها " .

وأما البعد النفسى : وهو جماع ونتاج البعدين السابقين ، فقد أصابها اليأس نتيجة لعدم الإجاب ، والفرحة الطاغية عندما رزقت بولد ، وقد صار زينها ونصيرها . ولطمها نفسها بنعل من الجلد حزنا على فقده .

كل هذا البعد النفسى ناتج عن البعد الجسمى والبعد الاجتماعى .

وأما شخصية الولد ، فهو مثل السنان مبرأ ، أشم طوال الساعدين ، جسيم . هذا هو البعد الجسمى ، وهو عطوف على أمه حذب عليها ، وهو بعد نفسى .

• البيئة :-

لقد صور الشاعر بيئة القصة أصدق تصوير . فهى بيئة جاهلية ، قوامها الولد . والمرأة إن لم تتجب فقدت قيمتها ، ولاقت من الهوان ما لاقت ، حتى من أقرب الناس إليها ، وأصبحت ولا قيمة لها . يلخص ذلك كله فى قوله " وألزمها من معشر يبغضونها " ومن ذا الذى يأبه بشجرة جافة خاوية ، بل الشجرة الخاوية تتفع لإنضاج الطعام . وهذا هو الجو العام فى القصة . ثم تغير الجو العام بعد أن رزقها الله بالولد .

لقد تبدلت الإهانات إلى نوافل و غنوم ، واعتدل العود بعد ذبول . يعكس ذلك قول الشاعر " فشَبَّ لها " وألزمها من معشر يبغضونها " كأنه ما كبر إلا لها . لإسعادها ، لعزّها . هذا هو الجو العام بعد أن رزقت تلك المرأة بهذا الولد .

وقد ساق البيئة بما فيها من عادات كانت موجودة ، ومنها اللطم بالنعل أو بسير فى الجلد " فقامت بسبت يلحج الجلد وقعه " .

• والبيئة المكانية :-

تلك التى دارت المعركة فيها " عيطاء فى شرفاتها نعائم منها قائم وهزيم " هضاب طويلة ، وفيها نعائم - والنعائم جمع واحده نعامة تبنى وي طرح عليها شئ من ثمام يستظل بها ^(١) - هذه النعائم منها القائم ، ومنها تمتد . " بذات شدوف مستقل نعائمها " شماريخ فى رعوس الجبال ، شخوص بارزة ، قلل للجبال عاليه . وسط هذه البيئة المكانية المخيفة دارت المعركة وكان الحصاد . والزمان الذى دارت فيه المعركة هو " جنح الظلام " .

• الأحداث :-

تبدأ القصة بوصف عام لتلك المرأة ، وعدم إجابها ، وموقف الناس منها ما بين شامت وما بين مهين لها . إلى أن يقع الحدث الكبير فى حياتها ، بعد أن كبرت وسيطر عليها اليأس ، فقد حملت وولدت . وهذا هو الحدث الذى حرك الشخوص فى كل اتجاه ، وغير مجرى الأحداث ، فإذا بالمرأة فى عز بعد ذل ، وإذا بزوجه

بغير من معاملتها ، وإذا بيتها يُقصد لهذا البطل للغارات وغيرها .
ثم يأتي حدث آخر يضع هذه الشخصية ، وهذا المجتمع ،
وتلك البيئة في محك أخلاقي آخر ، يأتي خبر موت هذا الشاب
الفتى القوى .

وهنا تلمحها هي ، هي بمفردها " فقامت " فقامت بسبت .. ثم
يأتي الحدث الأخير بالحل والنهاية معا " استبشروها بحبها صحيحا "

• الصياغة :-

الطرق المستخدمة في القصة هي سرد الأحداث بطريقة
مباشرة ، يتحدث فيها الشاعر واصفاً الأحداث ، متناولاً الشخصيات
مخبرا عنها ، محللاً لها .

وقد استعان الشاعر في تصويره تلك الأحداث بالألفاظ
الموحية ، والصور المعبرة ، من مثل قوله : " شمطاء القذال " و
عقيم " و " فوت الشباب " و " مثل السنان " . وتأتي الصور
متلاحقة في قوله " تراجع بعلاً مرة وتثيم " .

فحياتها متارجحة لا تهدأ إلا ويعكرها عدم الإنجاب . وفي
قوله " فشب لها " تصوير لهذا الولد ، وأنه ما شب وما كبر إلا
لإسعادها ، شب ليُدافع عنها وينير حياتها ويرفع رأسها .

والتعبير بقوله : " ألزمها من معشر يبغضونها ، نوافل تأنيهاً ، وغنوم " يوحى بمدى قوته ، وقهره للأعداء ، فتحولوا من مبغضين إلى مؤدين فروض الولاء لهذه الأم المسكينة .

وتصوير حال الأم بقوله : -

إذا أنزفت من عبرة يعمتهم تسألهم عن حثها وتلوم

وتصويره لفرحتها بعد سماع خبر عودته :-

فلما استفاقت فجّت الناس دونه وناشت بأطراف الرداء تعوم

ونلاحظ التركيز في الألفاظ . فمثلاً : " رآته على فوت

الشباب " هذه العبارة وتستطيع أن تسوق تحتها قصة طويلة من الانتظار ، ونصائح الصديقات ، وتجارب مريرة ، تفشل واحدة تلو الأخرى ، والشعرات البيضاء تتناثر في فذالها ، وبريق العين يخبو والظهر يتقوس ، وأخيراً رآته .

فلغة السرد هنا مركزة جداً .

• النهاية :-

النهاية هنا في هذه القصة جاءت بغير الموت . جاءت بنهاية

سعيدة ، جاءت بالنجاة ، مع أن الموضوع في هجر المحبوبة .

وساعدة بن جؤبة له قصيدة أخرى ^(١) في هجر المحبوبة له وجاءت النهاية بالموت . فما الفرق بين الموضوعين ؟ وما سر اختلاف النهايتين ؟

هجر المحبوبة في القصيدة التي جاءت نهايتها بالموت ، هجر غلّفه اليأس ولفّه انقطاع الأمل :-

فاليوم إما تمس فات مزارها منا وتصبح ليس فيها مأرب ^(٢)
وقد انعكس اليأس على النهاية فكان الموت ، وأما في هذه القصيدة التي معنا فالأمل موجود ، والحبيبة وإن كانت ترحل كثيراً ، فإن البرق من ناحيتها يزوره ويورقه ، والأمل موجود في لقائها . ومن هنا فقد جاءت النهاية - على ما شابها طوال القصة من ألم - جاءت مشرقة سعيدة .

• مقدمة القصيدة :-

لقد أورد ساعدة بن جؤبة في هذه القصيدة ثلاثة أبيات ، ثم ساق قصته بعد ذلك في خمسة وعشرين من الأبيات . والباحث لابد

١- مطلع هذه القصيدة :

هجرت غضوب وخب من يشحب وعدت عواد دون وليك تشعب

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

وأن يسأل نفسه عن هذه المقدمة ، ماهو دورها فى القصيدة ؟ .
 الموضوع فى هجر المحبوبة ، وفى وجد الشاعر بها . فهل
 فرغ الشاعر بتلك الأبيات البسيطة من عاطفته ، ثم بدأ فى سرد
 قصته على سبيل التسلية ؟ هذا ليس بمعقول ولا بمقبول ، أن يفرغ
 الشاعر عاطفته وإحساسه فى ثلاثة أبيات ، ثم يعتمد إلى التسلية فى
 خمسة وعشرين بيتاً بعد ذلك . أما المعقول والمقبول فهو أن القصة
 هى القصيدة ، هى ماأراد أن يقوله الشاعر ، هى عاطفته
 وفكرته .

ويظل السؤال قائماً : فما دور المقدمة ؟ ونقول إن المقدمة
 بأبياتها تعدّ تمهيداً للقصة فهو يقول لسامعيه :
 سأحدثكم عن تلك المرأة التى أحببتها ، وتعلق قلبى بها ،
 ورغم البعد عنها فأنا كلف بها ، ووجدى بها يشتعل أواره يوماً بعد
 يوم كتلك المرأة التى فقدت ولدها ووحيدها .. إلى آخره .

• صياغة جديدة للقطعة :-

موضوع القصة سهل ^(١) وتكمن الصعوبة فى خلق

١- لو كانت القصة تقاس بحبيكتها وموضوعها لكانت الحوادث التى تسردها
 الصحف كل يوم متفنة فى عرضها قصصاً فنية ، ولكنها بعيدة عن ذلك)
 القصة من خلال تجاربي الذاتية . عبد الحميد جودة السحار ، ص ٨١ .

الشخصيات وتحريكها وصياغة القصة . والصياغة شعرا تضيفى
صعوبة أخرى لما فى الشعر من قيود النظم والبحر والقافية
والتركيز فى الألفاظ وغير ذلك كثير .

ومع هذا فقد صاغ ساعدة بن جؤية تلك القصة السابقة صياغة
جديدة بقافية جديدة ، وألفاظ جديدة مغايرة لقافية القصة الأولى ،
وألفاظ ومغايرة لها كذلك وإن جاءت بعض شطرات الأبيات
بنصها .

من مثل قوله فى القصة التى معنا :-

فشب لها مثل السنان مبرأ أشم طوال الساعدين جسيم

وقوله فى القصة الثانية :

فشب لها مثل السنان مبرأ إمام لبأدى دارها وأميرها

وقوله فى القصة التى معنا :-

فورك لنا لا يشم نصله إذا صاب أوساط العظام صميم

وقوله فى القصة الثانية :

فورك لنا أخلص القين أثره وحاشكة يحصى الشمال نديرها

يقول ساعدة بن جؤية فى هذه القصة الثانية ، والتى بدأها

بمقدمة تشبه تماماً مقدمة هذه القصة :-

أهاجلك من غير الحبيب بكورها أجدت بليل لم يعرج أميرها
تحمّلن من ذات السّليم كأنها سفائن يَمّ تتحياها دبورها^(١)

إلى أن يصل إلى بداية قصته ، والتي تتشابه مع القصة

الأولى والتي يقول فيها :-

وتالله ما إن شهلة أم واحد بأوجد منى أن يهان صغيرها
رأته على يأس وقد شاب رأسها وحين تصدى للهوان عشيرها
فشب لها مثل السنان مبرأ إمام لنادى دارها وأميرها
عناش عدو لايزال مشمراً برجل إذا ما الحرب شب سعيها
تقدم يوماً فى ثلاثة فتية بجداء نصب للغوازي ثغورها
فيينا هم يتابعون لينتهوا بقذف نياف مستقل صخورها
رأوا من قدى الكفين قدام عدوة محيطاً به من كل أوب حضورها
فورّك لنا أخلص القين أثره وحاشكة يحصى الشمال نذيرها
يزحزحهم عنه بنبل سنيّة يضرّ بحبّات القلوب حشورها
فلما رأوهم يركبون صدورهم كبدن إياد يوم تُجبت نحورها
تملّز من تحت الطبّات كأنه رداة إذا تعلوا الحبار ندورها

يساق إذا أولى العَلْدَى تَبَدَّدوا يَخْفَض ريعان السَّعَاة غَوِيرها
 وجاء خيلاه إليها كلاهما يُفِيض دموعا لا يريث همورها
 ينيلان بالله الجيد لقد ثوى لدى حيث لاقى زينها ونصيرها
 فقامت بسيت يلعب الجلد مارن وعزّ عليها هلكه وغورها
 فبينما تنوح استبشروها بحبها صحيحا وقد فتّ العظام فتورها
 فخرّت وألقت كل نعل شواذماً يلوح بضاحى الجلد منها حدورها

• رؤية فنية :-

الموضوع فى هذه القصة هو الموضوع السابق . والأحداث
 هى الأحداث ، والشخص هو الشخص ، وإن اختلفت الصياغة ،
 وإن اختلفت الصور . فمثلاً شخصية الأم قد أخذت بعداً اجتماعياً
 أكبر فى القصة الأولى .

ومع ذلك فقد جاء الشاعر بصورة لطيفة عندما قال : " حين
 تصدى للهوان عشيرها " . فهى تشعرنا بأن الزوج قد جعل شغله
 الشاغل ، وحرصه ودينته إهانة هذه المرأة " تصدى للهوان
 عشيرها " فالعبارة تحمل فى طياتها كل أساليب الهوان . النظرات
 الجارحة ، والأساليب الخارجة ، والتصرفات غير اللائقة .
 لقد صورت فى القصة الأولى بأنها شمطاء القذال ، وهى

عقيم ، وهى تراجع بعلا مرة وتقيم . بعكس القصة الثانية . فهى شهلة ، وقد شاب رأسها والتعبيرات فى القصة الثانية عن شجاعة الولد بأنه " عناش عدو " فهو معانق للأعداء ، كناية عن مداومة الحرب لهم . التعبير بذلك أضاف جديداً عن القصة الثانية بأنه " إمام لنادى دارها وأميرها " أضاف لشخصية الابن بعداً جديداً .

وصورة الأم عندما بشروها بابنها قد بسطت فى القصة الأولى عن الثانية .

ومن خلال هذه الموازنة بين القصتين نرى أن واحدة ربت وزادت على أختها بأحد عشر بيتاً . مما أعطى الشاعر فرصة التصوير للمواقف ، والرسم للشخصيات ، مما يجعلنا نقول إن الشاعر قد قال القصيدة الثانية فى بداية الأمر ، ثم نقّحها وجوّدها وأضاف إليها مرة أخرى وغير فى معالمها حتى خرجت بهذه الصورة الجديدة .

• وتبقى كلمة :-

هذه القصة فى مجملها تصور المرأة فى الحياة الجاهلية ، ونظرة المجتمع إليها عندما لاتنجب . لقد ثارت المرأة قديماً على هذا الوضع الاجتماعى ، عندما أنجبت جارية ولم تلد غلاماً فهجرها

زوجها وهجر منزلها ، وصار يأوى إلى غير بيتها . فمرّ بخبائها
بعد حول ، وإذا هي ترقص بنيتها منه وتقول : -

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذك فى أيدينا

وانما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما حتى ولج عليها الخباء
فقبلها وقبل بنيتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة (١) .

فهل كان ساعدة بن جؤية يعالج وضعاً اجتماعياً فى تلك الفترة
المبكرة ؟

هل كان يبرزه ويجسده للناس ليتضح مدى الظلم الصارخ
الذى يقع على كاهل المرأة التى لا تنجب ؟

هل نتزيد ، ونحمل النصّ مالا يطيق ، ونقول : إنها قصة
اجتماعية ، راحت تعالج مبكراً صورة المرأة التى لا تنجب ،
ومدى معاناتها ، وموقف المجتمع منها حتى نتعاطف مع هذه
الإنسانة ؟ أميل إلى إثبات ذلك ، ولو اتهمت بالتزيد والمبالغة ،
وإنطاق القصة بما ليس فيها .

فأنا لا أرى فى إلحاح الشاعر على هذه الصورة وسوقها فى قصيدتين مختلفتين سوى ذلك الدافع الاجتماعى .

• بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى :-

وقد عمد أبو ذؤيب الهذلى ، وقد كان راوية لساعدة بن جؤية إلى القصة نفسها ، فصاغها فى قصيدة جديدة ، مشبهاً وجده بمحبوبته بوجد تلك الأم التى فقدت ولدها . وقد بدأها بمقدمة غزلية قال فيها :-

تؤمل أن تلاقى أم وهب بخلفة إذا اجتمعت ثقيف
إذا بنى القباب إلى عكاظ وقام البيع واجتمع الألف
تواعدنا عكاظ لنزلنه ولم تعلم إذا أنى خليف
فسوف تقول إن هى لم تجدنى أخان العهد أم أثم الحليف ^(١)

وواضح من هذه المقدمة أنه غير حريص على دوام هذه العلاقة ، غير متشبت بها ، قال لها ، مُخلف لم أعيدها . فقد واعدته " أم وهب " بأن يلقاها فى عكاظ حيث يجتمع الناس لشئونهم الكثيرة ، ولم تعلم أم وهب أنه سيخلف وعده ، وسيتخلف عن ميعاده . ولعلها عند ذلك تتحير متسائلة عن سبب تخلفه " أخان

العهد أم أثم الحليف " لقد عاهدتها وأقسم لها . فما الذى جعله يتخلف
عن مواعده؟

ثم يبدأ أبو ذؤيب فى سوق قصته التى تشبه إلى حد كبير
قصة ساعدة بن جؤية فيقول :-

وما إن وجد معولة رقوب بواحدة إذا يغزو تضيف
تنقض مهده وتذب عنه وما تغنى التمايم والعكوف
تقول له كفيتك كل شئ أهمك ما تخطتى الحتوف
أتيح له من الفتيان خرق أخو ثقته وخريق خسوف
فينا عشيان جرت عقاب من العقبان خائنة دفوف
فقال له وقد أوحى إليه ألا لله أمك ماتعيف
بأرض لا أيس بها يباب وأمله مدافعها خليف
فقال له : أرى طيرا ثقالا تبثر بالغنيمه أو تخيف
فألقى القوم قد شربوا وضموا أمام الماء، منطلقهم نسيف
فلم ير غير عادية لزاما كما يتهدم الحوض اللقيف
فراغ وزودوه ذات فرغ لها نفل كما فلد الحشيف
وغادر فى رئيس القوم أخرى مشلشلة كما قد الحشيف
فلما خرّ عند الحوض طافوا به وأبانه منهم عريف

فقال : أما خشيت وللمنايا مصارع أن تحرقك السيوف
فقال : لقد خشيت وأنبأتني به العقبان لو أنسى أعيف
وقال بعهد في القوم : إنى شفيت النفس لو يشفى اللهيف^(١)

وقد علق الدكتور / حسين نصار على القصيدتين بقوله :
(ولجأ أبو ذؤيب وساعدة إلى قصة واحدة أتيا بها لوصف ما يشعران
به من حزن . ولكنه ليس حزناً على ميت ، وإنما على حبيب
مفارق).

وقد اتفقا في الخطوط الكبيرة للقصة ، واختلفا في بعض
التفاصيل وفي النهاية .

ونستطيع أن نجملها في امرأة شابت وأوغل زوجها في
العمر ، وفي هذه السن أنجبت ابناً أحاطته بكل مظاهر الحب
والرعاية ، حتى شبّ جميلاً قوياً مبرأً من كل عيب . وخرج ذات
يوم للغزو مع رفقة له ، فإذا بأعدائه يحيطون به من كل جانب ،
فراماهم بالنيل ، ثم طاعنهم بالرمح ، ثم ضاربهم بالسيف ، وأخيراً
طعن - عند أبي ذؤيب - فهجم على رئيس القوم وطعنه ، سقط
الاثنان صريعين .

أما ساعدة فأنقذ بطل قصته عدواً على رجليه ، فأعاد الحياة والفرحة إلى أمه التي كادت تموت أسى عندما أبلغها رفاقه بموته المظنون (١) .

وليست هذه هي أوجه التلاقى والاختلاف بين القصتين فقط . بل ليست هذه الخطوط الكبيرة بين القصتين موضع اتفاق .

فقصة أبي ذؤيب قد بدأت بنهاية الأحداث ، ثم عاد إلى سرد قصته مسلسلاً تطور الحوادث التي أدت إلى تلك النهاية (٢) ، ولقد بدأ أبو ذؤيب قصته بالأم وهي معولة على ولدها الذي مات :-

وما إن وجد معولة رقوب بواحد إذا يغزو تضيف
ثم بدأ بعد هذه النهاية بذكر الأحداث التي أدت إلى النهاية بقوله :-

تنفض مهده وتذب عنه وما تغنى التمايم والعكوف

فالبداية عند أبي ذؤيب مختلفة عن البداية عند ساعدة بن جوية

١- آراء حول قديم الشعر وجديده . كتاب العربى ، الكتاب الثالث عشر

١٥ أكتوبر ١٩٨٦ م ، ص ٣٨ .

٢- وهذه طريقة من طرق عرض القصة . وتسمى هذه الطريقة بالانجائزية

(فلاش باك - flash Bak) القصة والرواية . د/ عزيزة مريدن ، ص ٤١ .

وليس في البداية ، وفقط ، ولكن ساعدة قد اهتم بقضية الأم التي لا تتجيب ، وأبرز ماتعانيه وما تلاقيه من هذا المجتمع ، وبسط شخصيتها تبعاً لذلك . فهي مرة : شاب رأسها ، ومرة : شمطاء القذال ، ومرة : عقيم . وهي تراجع بعلا مرة وتثيم . وهي من معشر يبغضونها .

وهي تصد وان عشيرها . وقد رأته على فوت الشباب . وقد رأته على يأس . هذا الفصل من القصة - قبل أن يأتي الولد - لا وجود له في قصه أبي ذؤيب . وهو موجود ومفصل ومبسوط في قصة ساعدة بن جؤية .

ويقابل في قصة أبي ذؤيب إشارة أبي ذؤيب الخاطفة إلى تلك العادة التي كانت موجودة وهي العيافة وزجر الطير . فقد أشار إليها في لمحة خاطفة عندما قال :-

فينا يمشيان جرت عقاب	من العقبان خائسته دفوف
فقال له وقد أوحى إليه	ألا لله أمك ما تعيف
بأرض لا أنيس بها ياب	وأمسلة مدافعها خليف
فقال له : أرى طيراً ثقالاً	تبشر بالغنمة أو تخيف

ولم يتعرض ساعدة في قصته لتلك العادة .

والولد في قصة ساعدة هو الحامي ، هو العنصر الفاعل ، هو المؤثر والمدافع لها . فهو " شَبَّ لها " يحميها ويدافع عنها . وهو الزمها من معشر يبغضونها نوافل تأتيها به وغنوم " وهو " إمام لنادى دارها وأما عند أبي ذؤيب ، فالأم هي العنصر الفاعل والمؤثر :-

تُفَضُّ مهده ، وتذِبُّ عنه ، تقول له كفيته كل شيء أهمك ما تخطتني الحتوف ، مابقيت على قيد الحياة كفيته كل شيء .

وقد اختلف العنصر الفاعل هنا بين القستين لاختلاف الدافع .

فالمرأة المحبة عند ساعدة بن جؤية مرغوبة ومأمولة . ولذلك جاء الذكر حامياً ومدافعاً ومنقذاً لها من إهانات القبيلة ، ومخلصاً لها .

أما المرأة عند أبي ذؤيب فهي التي ستذهب إلى عكاظ ، إلى الموعد ، وأبو ذؤيب سيخلف مواعده ، ولن يذهب إلى هناك " ولم تعلم إذا أنى خليف " ولذلك فهي تقدم وتعطي ، والذكر يخلف ويهرب .

وجاءت القصة على هذا النمط " هي ستذب عنه وهي ستكفيه كل شيء . ومع ذلك لا غرابة أبداً ، لا غرابة أن يخذلها الذكر ،

وأن يموت في نهاية القصة ، أو من بدايتها ليفجعها في ولدها ، كما فجعت محبوبته أبا ذؤيب في محبوبها ، ولا غرابة أن يحافظ ساعدة عن حبه وأن يبقى على الولد لأمه .

واختلاف نهاية القصائد تبعاً لاختلاف موضوعها ، يرد على كثير من الباحثين الذين قالوا إن نهاية القصة واحدة . مكرورة ومعادة (١) .



القمة الثانية

﴿ نهاية العمر ﴾

• تقديم :-

هذه قصة أخرى لساعدة بن جؤية ، تحدث فيها عن مرحلة من أخطر مراحل عمر الإنسان ، وهى مرحلة الشيب والهرم .
وقد مهد لقصته ، أو على الأصح مهد لقصصه الذى أورده فى تلك القصيدة عن الشيب والهرم بمقدمة فى سبعة أبيات ، صور فيها حاله مع الهرم وجفاف أيامه وما يعانيه فقال :-

يا ليت شعرى ألا منجى من الهرم	أم هل على العيش بعد الشيب من ندم
والشيب داء نجس لا دواء له	للمرء كان صحيحاً ضائب القحم
وسنان ليس بقاض نومة أبداً	لولا غداة يسير الناس لم يقم
فى منكبيه وفى الأصلاب واهنة	وفى مفاصله غمز من العسم
إن تأته فى نهار الصيف لا تره	إلا يجمع ما يصلى من الحجم
حتى يقال وراء البيت متبذا	قم لا أبالك سار الناس فاحترم
فقام ترعد كفاه بمحجنه	قد عاد رهبا رذيا طائش القدم

هكذا يتحدث ساعدة بن جؤية عن فترة الضعف والوهن في عمر الإنسان ويصور مايعانيه من سقم وألم وضعف في الحركة ، ووهن في المفاصل ، وما شابه ذلك . ثم بدأ في سرد قصته ، فساق ثلاثة نماذج ، الأول منها يصور حياة وعمل من الوعول :-

(أ) قصة الوعل

تأله يبقى على الأيام ذو حيد
يأوى إلى مشمخرات مصعدة
من فوقه شعف قرّ وأسفله
موكل بشدوف الصوم ينظرها
حتى أتيح له رام بمجدلة
فظل يرقبه حتى إذا دمست
ثم ينوش إذا آد النهار له
دلى يديه له سيراً فألزمه
فراغ منه بجنب الريد ثم كبا
أدفى صلود من الأوعال ذو خدم
شمُّ بهن فروع القان والنشم
جى تنطق بالظيان والعتم
من المغرب مخطوف الحشازرم
جشء ويبض نواحيهن كالسجم
ذات العشاء بأسداًف من الغسم
بعد الترقب من نيم ومن كتم
نفاحة غير أنباء ولا شرم
على نضى خلال الصدر منحطم^(١)

هذه قصة من ثلاث قصص ساقها ساعدة في قصيدته ليرسم
بها صورة الشيب والهرم .

وتبدأ القصة بمطلعها المعهود عند الهذليين " تالله يبقى على
الأيام " أى لا يبقى على الأيام . وبطل هذه القصة " ذو حيد " (١)
أدفى صلود من الأوعال ذو خدم " . بطلها إذن وعل من الوعول ،
قرونه ملتوية ، قد أهدودبت ومالت على ظهره . يعيش وحيداً
منفرداً ، فى يديه بياض . يعيش فى المرتفعات العالية ، وسط تلك
الأشجار التى يتخذ منها القسى .

وهو فى هذه المرتفعات يحس بالبرودة الشديدة من فوقه ،
ومن تحته منابع الماء ، وأشجار الزيتون البرى وغير ذلك .

وهو فزع خائف يرقب فروع الأشجار يحسبها صائداً ، وهو
طائر اللب مشغوف الفؤاد .

١- ذو حيد : ذو التواء . أدفى : الذى فى قرنه دفى وهو السدب .
صلود : يصاد برجله ، يضرب على الصخرة فيسمع لها صوت . وقد فسرت
فى اللسان بمعنى المنفرد ، وهو الأليق بالسياق هنا . ذو خدم : ما بيضت
أوظفته .

هو كل بشدوف الصوم ينظرها من المغارب مخطوف الحشازرم^(١)
لقد ظل على هذه الحال في أعالي الجبال ، حتى أتيح له صائد
بنصاله وسهامه .

ظل هذا الصائد يرقبه ، حتى إذا كانت سدفة الليل ، وأرخی
الليل سدوله رماه من فوقه فأصابه . ونفذ السهم حتى خرج من
جنبه ، ونضخ الدم ، وراغ الوعل بسهمه ودمه إلى حرف الجبل ،
ثم كبا وقد دخل السهم بين الضلوع .

• رؤيئة فنية :-

علاقة القصة بموضوع القصيدة :

موضوع القصيدة كما عرفنا من المقدمة ، يرسم صورة
للشيب والهرم وقد صاحبهما الوهن والضعف . وقد جاءت القصة
لتؤكد ارتباطها بالموضوع . فالمقدمة كما قلنا ما هي إلا عنوان
للقصة . كأنه يقول : سأحكى لكم قصة عن الشيب والهرم ، وما
بصاحبهما من ضعف ، ثم يسرد قصته .

وقد اختار بطل قصته وعلا من الوعول ، تحنى قرنائه على

١- السدوف : الشخصوص . الصوم : شجر . المغارب : كل مكان يتوارى فيه

زرم : قطع .

ظهره وقد أهدودبت ومالت ، يعيش منفرداً " صلودا " (١) . أوظفته
بيضاء ، ذو خدم هذه الصفات لم تذكر عبثاً ، وإنما ساق الوعل
بهذه القرون التي طالت وأفردته في أعالي الجبال ، وقد ابيضت
أوظفته بما يرمز أو يشير إلى الشيب ، وقد عبر عنه في المقدمة ،
وصور بغضه له بقوله :-

والشيب داء نجيس لادواء له للمرء كان صحيحاً صائب القحم (٢)

أعتقد أن هذه هي صورة الشيب والهرم في القصة . ومع
انفراده ، فهو يأوى إلى أماكن مرتفعة ، موغلة في الارتفاع ، فهي
مشمخرات مصعدات شُمُّ بها أشجار عالية . من فوقه رعوس
الجبال بما تحمله من برد شديد ، وأسفله جفار المياه ، وأشجار
الزيتون ، وما يشبه التسرين .

هو في هذا المكان حيث البرد الشديد ، والأشجار العالية ،

١- وقد فسّر شارح الديوان " صلود " بمعنى يصلد برجله ، أى يضرب بها
على الصخرة فيسمع لها صوت . وعلق محقق الديوان على هذا بقوله : فسّر
في اللسان " الصلود " بأنه المنفرد . وأنشد هذا البيت ، ولم يذكر الصلود
بالمعنى الذي ذكره الشارح هنا . الديوان ، ج ١ ، ص ١٩٣ . وأقول إن سياق
القصة يؤكد صحة ماذهب إليه المحقق .

٢- الديوان ، ج ١ ، ص ١٩١ .

غير مطمئن .

إنه يسيطر عليه الخوف ، ينظر إلى أعلى فلا يرى سوى رؤوس الجبال وينظر إلى أسفل فلا يرى إلا بقايا الماء في الأجفار وأين هو ؟ في أعلى ؟ في أسفل ؟ إن الشاعر قد قصد تصويره على هامش الحياة ، على هامش الجبل . إنه الشيخ الهرم الخائف المترقب ، مخطوف الحشا .

وظل كذلك حتى أتيج له قدره . أتيج له رام بمجدلة فأعطاه سهما أطبقت عليه الضلوع .

والقصة كما نرى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة ، وهو الشيب والهرم والضعف الذي يوصل إلى الموت .

• الشخصيات في القصة :

وهل في القصة شخصيات غير هذه الشخصية الواهنة الضعيفة المنتظرة للموت . وقد أجاد ساعدة بن جؤية في رسم أبعاد تلك الشخصية ، وتصويرها ، فقد تناول البعد الجسمي لهذا الوعل بما يعكس دوره في القصة ، ويخدم القصة وينميها ويثريها . فهو وعل قد بلغ من الكبر عتياً . قرونه ملتوية طويلة ، أوظفته بيضاء هجر الدنيا وعاش وحيداً في الحياة ، أقصد على هامش الحياة

يعيش في شاطئ الجبال بين برودة في أعاليه ، وماء الأجراف في أسفله والبعد النفسى ناتج عن هذا البعد الجسمى . فهو يعيش منعزلاً خائفاً منكشاً ، يرقب فروع الأشجار بحسبها صائداً . لا يتحرك إلا إذا مال النهار للروال . ينوش بعض الأشجار ، ويتناول أوراقها .

أما الشخصية الثانية وهى شخصية الصائد ، فهى شخصية غائمة ، ليس فيها من وصف سوى أنه رام يحمل فى يده أدوات الرمي من سهام وغير ذلك .

• البيئة :-

البيئة هنا تلك التى عاش فيها هذا الوعل ، هى الجبال الموعلة فى الارتفاع . وقد اختار مكاناً تحت رعوس الجبال ، فكانت البرودة الشديدة من ناحية ، والأشجار التى لا تنبت إلا فى هذا المكان المرتفع (القان والنشم) (الصوم) وهى أشجار على شكل شخوص قائمة ، كريهة المنظر ، يقال لثمره رعوس الشياطين ، وليس له ورق ، وللصوم هذب ولا تنتشر أفنانه ، ينبت نبات الأثل ولا يطول طوله .

هذا بالنسبة للبيئة المكانية ، وهى بيئة فيها النبات الخالى من الورق وفيها رعوس الجبال الشاهقة ، وفيها القرّ والبرد الشديد .

وهي بيئة تساهم في رسم جو القصة للشيب والهرم .
 والبيئة الزمانية وقد تمثلت في الوقت الذي اختاره الصائد :-
 فظل يرقبه حتى إذا دمست ذات العشاء بأسداف من العسم
 فالبيئة الزمانية هنا مظلمة ، دمست ، العشاء ، أسداف ،
 العسم (١) .

وحتى عندما ذكر النهار ، ذكره وقد آد ، وقد مال للزوال .
 وهكذا نرى البيئة وقد خطط لها الشاعر لتخدم الجو العام في
 القصة .

• الأحداث :-

القصة تحكى الشيب والهرم . وهما نهاية الأحداث لابتدائها .
 ولذلك لا نجد أحداثا في القصة سوى حدث واحد . ونرى حركات
 بسيطة ضعيفة ، تلوح في ضعف وتخاذل . فهذا الوعل (يأوى)
 وهي حركة خمول يأوى إلى مشمخرات . وهو (موكل) بشدوف
 الصوم ينظرها . وهو (ينوش إذا آد النهار له) بعد الترقب من

١- دمست : التبست بالظلمة . أسداف جمع سدف وهي الظلمة . العسم :
 اختلاط الظلمة وهو غبس الليل وسواده .

نيم ومن كتم .

والحركة الأخيرة كانت عند موته (فراغ منه بجانب الريد ثم كبا) وهكذا حركات بسيطة ضعيفة واهنة .

وحتى حركة الصائد (فظل يرقبه) وليس هناك من حدث يحرك الشخص ويدفع القصة إلى نهايتها سوى تحريك الصائد (دلى يديه له سيرا فالزمه نفّاحة) هذا هو الحدث الوحيد الذي يحرك الأحداث إلى نهايتها .

• الصياغة والأسلوب :-

لقد صيغت القصة كلها بطريقة واحدة من بدايتها إلى نهايتها ، وهي طريقة السرد القصصي المباشر ، واستخدم الشاعر الوصف في قصته . ووصف هذا الوعل والمكان الذي يعيش فيه ، وطريقة تحركه وتناوله لطعامه . ووصف عدة الرامي وروغان الوعل وكبوته . وجاءت بعض الصور البلاغية غير المتكلفة ، وإن كانت قليلة . من مثل قوله :-

من فوقه شعف قر وأسفله جى

وقوله :-

موكل بشدوف الصوم ، آد النهار .

• بين البداية والنهاية :-

بدأ الشاعر قصته بقوله :-

(تالله يبقى على الأيام ذو حيد)

وهذه البداية القصصية تكررت كثيراً في شعر الهذليين حتى صارت لازمة من لوازم القصة عندهم . إذا أراد الشاعر أن يحكى قصته بدأها بقوله " والدهر لا يبقى على حدثانه " وهى ليست جملة خبرية أراد الشاعر أن يخبرنا بها عن نهاية قصته ، كما ظن صاحب كتاب " الرؤى المقنعة " عندما قال معلقاً على هذه البداية عند الهذليين " وهذه صيغة فاجعة تماماً للحكاية لأنها تقدم النهاية سلفاً " (١) .

وهى ليست حكماً على القصة أشار إليها الشاعر من البداية كما يقول الدكتور / حسين نصار " وقد أغترف من قصص الصيد هذه شعراء بنى هذيل فأتوا منها بالقصص الرائع الباهر ، فقد اعتاد شعر هذه القبيلة فى الرثاء خصوصاً أن يحكو قصص الصراع العنيف بين العظيم القوى من الحيوان والطير وبين القدر . والنهاية

١- الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى . كمال أبو

المحتومة لهذا الصراع . فهم يفرّون من مشاعرهم الخاصة إلى المشاعر العامة . أو من حزنهم الفردى إلى سنة الطبيعة فى القضاء على كل حىّ مهما بلغ .

وكانوا فى هذا القصص يصورون حياة مايعالجون من حيوان مع زوجته وعشيرته وما تمتع به من رياض ، وما حظى به من لهو ، وما نعم به من سعادة . وفى أثناء ذلك يبدو القدر على صورة صائد يرافق كلابه ، فتبدأ المطاردة ويشتد الصراع وتسقط القتلى .

ويُصرّ الشاعر الهذلى على إهلاك الحيوان الذى يصفه فى النهاية - لأن الفكرة كما يقول ساعدة بن جؤية :-

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه أبود بأطراف المناعة جلعده
ويكررها أبو ذؤيب :-

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع
ويكررها صخر الغى ، وأبو خراش وغيرهما (١) .

١- كتاب العربى " آراء حول قديم الشعر وجديده " الكتاب الثانية عشر ١٥

أكتوبر ١٩٨٦ م ص ٣٦ .

وفهم من كلام الدكتور حسين نصار أن الشاعر قد أعطى فكرته، وهي إهلاك الحيوان منذ البداية . منذ أن قال "والدهر لا يبقى على حدثانه . وهي فكرة تقترب مما قاله صاحب "الروى المقنعه" وهو ما رفضناه عند حديثنا عن الحس القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى " لأسباب عديدة منها : -

أن بعض القصص الهذلى قد بدأ بهذه البداية "والدهر لا يبقى على حدثانه" ولم تأت النهاية بالموت ، وإنما أتت بالتشتت أو الضياع أو ما شابه ذلك . وأن هذه البداية أصبحت لازمة عند شعراء هذيل . إذا أراد الشاعر أن يبدأ قصته بدأها بقوله "والدهر لا يبقى على حدثانه" كما نبدأ الحكاية لأطفالنا بقولنا "كان يا ما كان " .

وقد جاءت النهاية هنا فى هذه القصة بالموت ، وهي نهاية طبيعية للشيب والهرم . فالنهاية جاءت متساوقة مع موضوع القصيدة .

(ب) قصة قطيع البقر

• نطل القصة : -

ولا صوار مذرّة مناسبها
ظلت صوافن بالأرزان صادية
قد أوبيت كلّ ماء فهي طاوية
حتى شأها كليل موهنا عمل
كأن مايتجلى من غواربها
حيران يركب أعلاه أسافله
فأسادت دلجا تحى لموقعه
حتى إذا ما تجلّى ليلها فرعت
فافتتها في فضاء الأرض يأفرها
أتحى عليها شراعيها فغادرها
فكان حثفا بمقدار وأدركها

مثل الفريد الذى يجرى من النظم
فى ماحق من نهار الصيف محتدم
مهما تصب أفقا من بارق تشم
باتت طرابا وبات الليل لم ينم
بعد الهدوء قمشى النار فى الضرم
يحفى جديد تراب الأرض منهزم
لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم
من فارس وحليف الغرب ملتئم
وأصحرت عن قفاف ذات معتصم
لدى المزاحف تلى فى نضوخ دم
طول النهار وليل غير منصرم

• رؤية لغوية : -

هذه قصة أخرى فى القصيدة نفسها ، وفى الموضوع نفسه ،
تحدث فيها الشاعر عن قطيع من البقر " صوار " أى والدهر لا

يبقى على وعمل ولا على صوارٍ ، ولا على قطيع من البقر (صوارٍ
مذرة مناسجها ، مثل الفريد الذي يجرى من النظم" (١) قطيع من
البقر ، تضرب الريح في مناسجها البيضاء ، واقفة على ثلاثة
أرجل عطشى في يوم قائف (ظلت صوافن في الأرزان صادية ،
في ما حق من نهار الصيف محتدم) قد منعت الماء ، وأصبحت
طاوية ، إذا رأت برقاً توسمت فيه المطر ، منعها الرماة من
الحركة وحاصروها مكانها تبيت على الطوى . حتى كانت ليلة برق
فيها بارق في الأفق ، فباتت تنسى نفسها الأمانى ، وظل البرق
طوال الليل على هذه الصورة ، يظهر قليلاً ويختفى . ويبرق من
أعلى مرة ومن أسفل أخرى . وسار البرق ليلاً متوجهاً جهة هذا
البرق ، سار لا يلوى على شئ . فهو إن لم يمت من الصائد مات
من العطش ، وسار لا يتعبه مشى ولا تعوقه ظلمة .

فأسادت دلجا تحمى لموافقة لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم (٢)

١ - الصوار بكسر الصاد وضمها : القطيع من البقر ، منسج الدابة ما بين
مغرز العنق إلى منقطع الحارك في الصلب . أو ما شخص من فروع الكتفين
إلى أصل العنق . مذرة : قد ذريت بالمذرى . مثل الفريد أى كأنها فريد من
بياضها . والفريد ما دود .

٢ - الإسناد : سير الليل . لم تنتشب : لم تحتبس .

وأخيرا ، وبعد هذه الرحلة الشاقة طوال الليل ، وسط الظلمة والأهوال ، أنجلي الليل عن فارس بسيفه وقناته ، فكان الخوف والفرع ، وكان الهروب في فضاء الأرض ، وكان العدو والوثب ، وأصحرت وأفقرت ، والتفت الخيل والصائد حولها . ولم يضيع الصائد فرصته . لقد أشرع على القطيع رمحه الطويل ، وغادر القطيع وهو ينضخ بالدماء . فأخذت البقر نصيبها وأصابها قدرها وحتمها .

• رؤية فنية : -

هذه هي القصة الثانية ، وهي النموذج الثاني للشيب والهرم . وهي تحكي عن قطيع من البقر ، قد حاصره الرماة في مكان ما ليس به ماء ولا طعام . لقد أشرفت على الهلاك ، وظلت تتطلع إلى البرق لعل وراءه المطر ، عله ينقذها من الهلاك . ولمّا ابتعد هذا البرق ، وابتعد معه الأمل في المطر ، وضاع الأمل المنشود ، تحرك القطيع بحثا عن الماء ، سار الليل كله ، حتى أبلج الصباح عن الخيل بفوارسها ، فكان هلاك هذا القطيع . ونلاحظ أن القصة قد بدأت ، وقد بلغت الروح الحلقوم ، وصلت النهاية وهكذا الشيب والهرم . لقد بدأت القصة بالقطيع وهو محاصر ظمان .

ولم ينس الشاعر أن يجعل مناسجها بيضاء ، كما جعل أرجل

الوعول بيضاء من قبل . وهو رمز الشيب . وعندما أصاب الصائد القطيع أصابه بمقدار . فكان جتفا بمقدار . وهكذا نرى الترابط الوثيق بين القصة وموضوع القصيدة .

• الشخصيات :-

شخصية قطع البقر هنالها معالم واضحة . فأجسادها بيضاء كالفضة ، ضربت مناسجها الريح ، حوصرت في مكان ما بعد مطاردة الرماة لها . وقد طالت وقفها وحصارها حتى ذبلت " صادية " وهي تقف في شدة الحر ، وقد منع عنها الماء .

ثم انتقل الشاعر إلى تصوير البعد النفسى للشخصية ، وهو انعكاس ونتاج البعد الجسدى ، فهي تنتظر فى الأفق آملة أن تلمح برقاً ، وأن يتحول هذا البرق إلى قطرات من الماء ، وهي فرحه لرؤيتها برقاً ضعيفاً على بعد . وهي يائسة مخادرة عندما انهزم البرق وتلاشى . وهي فى سبيل قطرة ماء لا تحس تعباً ولا وهناً .

والشخصية الأخرى وهي شخصية الصائد ، هي شخصية ليست بذات بال ، فمعالمها غير واضحة ، وأثرها غير واضح أيضاً . ولم لا ، والظماً كفيل بالنهاية ، ومرور الوقت يقتلها من الظماً بدون صائد ولا غيره . فالصائد هنا فارس يحمل سهمه وقتلته

يبتلع خطي هذا البقر ، ومال عليها برمحه فأصابها قدرها .

• الأحداث :-

الأحداث هنا قليلة بالقياس إلى النموذج السابق . فالقصة تبدأ بهذا الحصار لهذا القطيع من البقر في مكان قفر ليس فيه مقومات الحياة ، مما يوحي لنا أن الحصار قد سبقه مطاردة من الرماة لهذا القطيع حتى ألجأه إلى هذا المكان الخالي من الحياة . وقطيع البقر لم يرضخ لهذا الحصار ، وإنما هو يتطلع إلى السماء آملاً أن تهطل ، ولم تكتف بالتطلع إلى السماء ، لكنها راحت تجري وراء هذا البرق . وتسير الليل كله بحثاً عن الماء . وهنا نرى الأحداث في هذه القصة نامية ومتطورة ومحركة للأحداث . فحصار الرماة لها جعلها تطلب الماء ، وابتعاد البرق جعلها تطوى الليل بحثاً عنه ليسلمها إلى الصائد ، فتفر منه إلى خيل أخرى فتلقى حتفها الذي قدر لها .

• البيئة :-

البيئة هنا تخدم القصة . وقد وصف الشاعر البيئة المكانية والزمانية ، بما يساهم في رسم قصته . فهي قد حوصرت في الأرزان ، وهي الأماكن العالية الخالية من المياه . والبرق الذي

ظهر برق كليل موهن ، وعندما هربت من الخيل هربت في قفاف .
وهو غلظ من الأرض لاتجري فيه الخيل .

وأما البيته الزمانيه فهي (ما حق من نهار الصيف) (فأسادت
دلجا) حتى المرة الوحيدة التي انبلج فيها الظلام ، انبلج عن الخطر
، وظهر الفارس بَعْدَته :-

حتى إذا ما تجلّى ليلها فرعت من فارس وحليف الغرب ملتئم^(١)

(ج) جماعه الأنس

وهي النموذج الثالث الذي ساقه الشاعر في قصته عن الشيب
والهرم وقد بدأه بقوله :-

هل اقتنى حدثان الدهر من أنس	كانوا بمعيط لا وخش ولا قدم
كيدا وجمعا بآناس كأنهم	أفناد كبكب ذات الشث والحزم
يهدى ابن حشم الأنباء لحزمهم	لا متأى عن حياض الموت والحمم
يخشى عليهم من الأملاك بائجة	من البوائج مثل الخادر الرزم

١- الغرب : الحد . حليف اللسان : حديد اللسان ، حليف الغرب حديد الحد.

مهما يكن من مسام مكره يسم
 حتى رأوهم خلال السبي والنعم
 خوص إذا فزعوا أدغم في اللحم
 تحت السنور بالأعقاب والخدم
 مثل الكواكب يساقون بالسهم
 من الطوائف والأعناق بالوزم
 ضربا خراويل كالتشقيق في الأدم
 وساهف ثمل في صعدة حطم
 يؤوى اليتيم إذا ماظن بالذمم
 يصيح مثل صياح السر منتحم
 كالفحل قرقر وسط الهجمة القطم
 في مركب الكر أو تمشى على جشم
 يرفلن بعد ثياب الخال في الردم
 أرجاء هار زفاه اليم منثلم
 وجمال كحرير الطود مقتسم^(٢)

إذا جزأة تسقط الأحبال رهبتة
 يدعون حمسا ولم يرتع لهم فزع
 بعقرسات بأيديهم أعتتها
 يوشونهن إذا مانسبهم فزع
 فاشرعوا يزنيات مخدبة
 كأنما يقع البصري بينهم
 يجذلون ملوكا في طوائفهم
 ماذا هنالك من أسوان مكتسب
 وخضرم زاحر أعراقه تلف
 وشرح نحره دام وصفحته
 مطرف وسط أولى الخيل معتكر
 وحرّة من وراء الكور وارقة
 يذرين دما على الأشفار منحدرأ
 فاستدبروهم فهاضوهم كأنهم
 فحلزوا بأسارى في زمامهم

• رؤية لغوية :-

هذه هي القصة الثالثة ، أو النموذج الثالث للهرم والشيب ، وهو في هذه المرة نموذج من البشر ، كانوا يعيشون في بلاد هذيل ما هم بئام ولا بأندال وكانوا أصحاب عدة وعدد ، ولهم كتائب وجيوش ، تحربهم الكتائب وتتمى إليهم أخبار الأعداء ، لا يصيبهم خوف ولا فزع ، وهم أعزّة . أصابهم العدو ، وياله من يوم ، ويالها من إصابة :

ماذا هنالك من أسوان مكتئب ، وساهف ثمل في صعدة حطم وخضرم وشرجب نحره دام وصفحته ، يصيح مثل النسر منتحم . وحرّة من وراء الكور وارقة ، يذرين ثمعا على الأشفار ، يرفلن بعد ثياب الخال في الردم ^(١) تلك هي النهاية ، وهذا هو فعل الأيام ، وأثر حدثان الدهر .

١- أسوان : حزين . الساهف : العطشان . الخضرم : الواسع الخلق ، الخضارم : الأشراف . الشرجب : الطويل . الانتحام : شبيه بالنفس من الصدر . وارقة : أردفت فهي متوركة . ثياب الخال : برود حمر فيها خطوط خضر .

• رؤية فنية :-

- الأشخاص :-

لقد رسم الشاعر صورة للأشخاص (لا وخش ولا قزم) (١) .
فما هم بلئام ولا بأنذال . لهم كتائب وجيوش ، وتصلهم أخبار العدو ،
ويسميهـم الناس بالحمس لعزهم ، وكذلك لا يغزرون لعزهم
وسمعتهم . وهم أيضاً أوقفوا الخيل مقربات ، استعداد للغزو ، وهذا
يعكس البعد الجسمي والنفسي للشخصيات في القصة ، وهو وإن
كان بعداً غائماً ، وغير محدد ، إلا أنه يخدم القصة ، فهؤلاء رغم
عزهم وقوتهم لم يمهلهـم الدهر أيضاً .

• معالم ضائعة :-

لقد ذكر الشاعر في القصة أن هؤلاء القوم كانوا يعيشون "
بمعيط " وتقول كتب اللغة أن " معيط " موضع (٢) . وموضع ببلاد
هذيل (٣) . هذا هو ماتخبرنا به المراجع . والذي لا شك فيه أن هذا
المكان كان له من السمات الجغرافية ما يميزه عن غيره من

١- الوحش : الأنذال . القزم : اللئام .

٢- لسان العرب : مادة عيط .

٣- الديوان : ج ١ ، ص ٢٠٠ .

الأماكن^(١) من ناحية ، ويضيف إلى القصة جديداً من ناحية أخرى .
فالشاعر لا يحدد الأماكن عبثاً . وقد ضاعت هذه المعالم بالنسبة لنا
وأصبحنا غير قادرين على تفسيرها .

• الأحداث :-

تبدأ القصة بوصف لهؤلاء الناس الذين يعيشون في دعة
ونعمة ، في موضع من أرض هذيل ، لهم كتائب وجيوش كثيرة
يخشى عليهم غيرهم ، ويحرسهم . يقربون الخيل ليكونوا على أهبة
الاستعداد للحرب .

وبعد هذا الوصف لهم يأتي الحدث الأول في القصة :-

فأشرعوا يزنيات محاربة مثل الكواكب يتساقون بالسهم
لقد بدأوا في القتال ، وسددوا أسلحتهم الغاضبة ، وكانوا
يتساقون كئوس المنية ، وراح السيف يعمل هنا وهناك .

هذا الحدث عمل على تحريك الشخصيات لتتوالى الأحداث
بعدها " يجدلون ملوكاً في طوائفهم " ماذا هنالك من أسوان مكتتب "
" شرجب نحره دام وصفحته يصيح " وهكذا تتوالى الأحداث

١- نحن الآن مثلاً عندما نعرف أن شخصاً يسكن في أسوان ، أو في
الاسكندرية نتصور المناخ الذي كان يعيش فيه وانعكاس هذا المناخ عليه .

المترتبة على الحدث الأول .

وترى المرأة الحرة وقد أخرجت من خدرها ، وهي متوركة
مركب الكره ، أو تمشى على جشم ، وتظفر دمعاً على الأشفار
منحدراً ، وهن في الردم بعد أن كن يلبسن البرود وغيرها .

وهنا يأتي حدث آخر " فاستدبروهم " ويترتب على هذا الحدث
" هاضموهم " كسروهم وذقوهم ، فسقطوا في جرف هار ، ومروا
بأسارى في الحبال .

• بين ساعدة بن جؤية وأبو ذؤيب •

لقد كان أبو ذؤيب راوية لساعدة بن جؤية . والذي لاشك فيه
أنه تأثر بأستاذه بصورة ما . تلمح هذا التأثير في قصيدته " العينية "
تلك التي بكى فيها أولاده الذين تخرموا . وهي تحمل ثلاث قصص
، أو نماذج أو أمثلة للدمر وحدثاته ، وما يصنع بهذه النماذج .

وساعدة بن جؤية كما رأينا هنا يقدم في قصيدته ثلاث نماذج
يقدم النموذج الأول في صورة وعل ، والثاني في صورة بقر
وحشى ، والثالث في صورة فارس . ومعنى هذا أن ساعدة قد قام
بعرض نموذجين للحيوان ، ونموذج ثالث للإنسان .

وكذلك فعل أبو ذؤيب عندما قدم نموذجين للحيوان هما :

الحمار الوحشي والثور ، وقدم نموذجا للإنسان فى صورة الفارسين .

ولا يقتصر الأمر على هذا التشابه الظاهري . ولكن صفات الثور عند أبى ذؤيب " شبيب أفزته الكلاب - شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفرع - ويعوذ بالأرطى إذا ماشفه قطر ، يرمى بعينيه الغيوب - طرفه مغض يصدق طرفه ما يسمع) .

وهذه الصفات بعينها هى صفات " الوعل " عند ساعدة بن جؤية .

فهو " موكل بشدوف الصوم ينظرها . وهو - مخطوف الحشارم .

وكذلك النموذج الثالث ، نموذج الفارس عند أبى ذؤيب ، وقد التحم بالفارس الآخر وصار نموذجا واحداً . " فتناديا " ، وتواقفت خيلاهما " - كلاهما بطل اللقاء - " متحاميين المجد " عليهما مسرودتان " " كلاهما فى كفه يزنية " " كلاهما متوشح ذا رونق " " فتخالسا نفسيهما بنوافذ " " كلاهما قد عاش عيشة ماجد " . وقد هلكا معا . الفارس والفارس الآخر . وكذلك نرى النموذج الإنسانى عند ساعدة بن جؤية ، وقد توازت وتساولت القوتان . فالقوة الأولى

"لاوخش ولا قزم" كأنهم أفناد كبكب ؛ " والقوة الثانية " بمقربات بأيديهم أعنتها " يوشونهن إذا مانابهم قزع . وتختلط القوة الأولى بالقوة الثانية ، ويأتى الضمير " فأشرعوا يزنيات محربة مثل الكواكب " ولا ندرى من هم الذين أشرعوا ؟ ثم ، وبعد أن جدلوا ملوكا فى طوائفهم ، وخضرم زاهر ، وشرجب ، وحررة إلى آخره بعد ذلك نجد قول الشاعر " فاستدبروهم " . ولا ندرى أى فريق هو الذى استدبر الآخر . ومن هنا تجد اختلاط القوتين ، وتساقى الموت عند الفريقين ، عند ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى .

وبمقارنة القصيدتين نجد أبى ذؤيب وقد استفاد من ساعدة بن جؤية من ناحية ، وصهرته تجربة موت أولاده من ناحية أخرى ، فجاءت قصيدته أكثر نضجا ، صوّر فيها حال أولاده فى النموذج الأول ، وصور حاله فى النموذج الثانى ، وصوّر من حوله من الناس فى النموذج الثالث .

يبقى أن نقول إننا اضطررنا لفصل هذه النماذج لدراستها ، ولكنها غير منفصلة عن بعضها ، ولكن نلّفها كلها فكرة واحدة تتعاضد مع بعضها لتشكل الموضوع الذى قال من أجله الشاعر قصيدته . هذه الفكرة هى أن الدهر لا يبقى على أحد ، ضعيفا كان أو قويا ، وحيدا أو تحميه الكتائب المدججة بالسلاح .

القمة الثالثة

﴿ غضوب ﴾

وقد وردت هذه القصة فى قصيدة تتحدث عن هجر تلك
المحبوبة " غضوب " له . وحالت الحوائل دون الاقتراب منها ،
والتف حولها قوم حراس عليها ، حراس على قتله ، يكتنون له
البغض ، وهى تلج فى الابتعاد .

ومع ذلك ، ومع تطاول الأمد ، ومع وقوع كثير من الآلام ،
فمازال القلب يهيم بها ، وينبض بحبها ، وينشغل بذكرها . ومع
ذلك فهى لاتقبل العتاب ، ولا ترجع عما هى فيه من بعد وهجر .

يقول ساعدة فى مطلع هذه القصيدة : -

هجرت غضوب وحب من يتحب	وعدت عواد دون وليك تشعب
ومن العوادى أن تقتك ببغضة	وتقاذف منها وأنك ترقب
شاب الغراب ولا فؤادك تارك	ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

هذه هى مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصة . وواضح أنه لا

أمل عند الشاعر فى عودة غضوب إليه ، فهى تلج فى البعد وتوغل

في الخصام والهجر .

وقد ساق الشاعر قصته بعد هذه المقدمة الطويلة ، والتي انتهت بقوله :-

فاليوم إما تفس مزارها منا وتصبح ليس فيها مارب

وإذن فقد وصل إلى حالة اليأس من مزارها ، وأصبحت

وليس فيها من مارب . وقد ساق قصته فقال :-

فالدهر لا يبقى على حدثانه	أنس لفيف ذو طوائف حوشب
في مجلس بيض الوجوه يكنهم	غاب كأشطان القلب منصّب
متقارب أنسابهم وأعزّة	توقى بمثلهم الظلام وترهب
فإذا تحومى جانب يرعونه	وإذا يجيئ نذيره لم يهربوا
بذخاء كلهم إذا مانوكروا	يتقى كما يتقى الطلى الأجرب
ذو سورة يحمى المضاف ويحتمى	مصع يكاد إذا يساور يكلب
بيناهم يوما كذلك راعهم	ضبر لباسهم الحديد مؤلب
تحميمهم شبهاء ذات قوائس	رمّازة تأبى لهم أن يجربوا
من كل فجّ تستقيم طمرة	شوهاء أو عبل الجزارة منهب
خاطى البضيع له زوافر عيلة	عوج ومتن كالجديلة سلهب
وحوافر تقع البراح كأنما	ألف الزّماع بها سلام صلب

يهتز في طرف العنان كأنه
فحبت كتيبتهم وصدق روعهم
لا يكتبون ولا يكت عديدهم
وإذا يحيى مضمت من غارة
طاروا بكل طمرة ملبونة
فرموا بنقع يستقل عصائبها
فتعاوروا ضربا وأشرع بينهم
من كل أظمى عاتر لاشانه
حرق من الخطى أغمض حده
فما يترص في الثفاف يزينه
لذبهذ الكف يغسل متنه
فأبار جمعه السيوف وأبرزوا
واستدبروهم يكفون عروجهم

جذع إذا فرع النخيل مشذب
من كل فج غارة لا تكذب
حفلت بجيشهم كتائب أوعبوا
فيقول قد آنست هيجا فاركبوا
جرداء يقدمها كميت شرجب
في الجؤ منه ساطع ومكثب
أسلات ماصاغ القيون وركبوا
قصر ولا راش الكعوب معلب
مثل الشهاب رقعه يتلهب
أخذى كخافية العقاب محرب
فيه كما غسل الطريق الثعلب
عن كل راقنة تجر وتسلب
مور الجهام إذا زفته الأزيب^(١)

• رؤية الغوية :

تحكى تلك القصة عن جماعة كثيرة معترزة بنفسها ، ملتفة
متشابكة متماسكة ، متعاضدة (أنس لفيف ذو طوائف حوشب)^(١)

تحميهم وتحرسهم كتائب مدججة بالسلاح ، كأنهم أجمة الغاب من كثرتها (يكنهم غاب كأشطان القلب منصب) (١) أنسابهم متقاربة ، فكلهم يضرب في شرف تليد وعز رفيع ، يخاف ويتقى جانبهم فلا يظلموا .

إذا تحاشى الناس جانباً وخافوه لخطورته ، رعوه وأقاموا فيه لا يخافون إنذاراً ولا تهديداً (فإذا تحومى جانب يرعونه ، وإذا يجيئ نذيره لم يهربوا) يزهب جانبهم . فهم ذو سورة وحدة ونظر شديد . وهو يحمى من لجأ إليه . شديد المماشقة بالسيف ، إذا احتدم أحد عليه استأسد واستكلب (ذو سورة يحمى المضاف ويحتمى ، مصع يكاد إذا يساور يكلب) (٢) . هذه هي صورة هؤلاء الناس ، فهل يتركهم الدهر هكذا في

١- الأنس : بالتحريك ، الحى المقيمون (لسان العرب مادة أنس) والحوشب : المنتفخ .

١- يكنهم : يسترهم . غاب : أجم . الأشطان : الجبال . القلب : البئر . منصب : مركزوز وثابت .

٢- ذو سورة : ذو وثبة . المساورة : الوثوب والثورة (لسان العرب مادة : وثب) والمضاف الملتصق بالقوم . مصع : شديد المماشقة بالسيف . يكلب : يغضب .

عزة ومنعة ؟ لابد من تقلب الحال .

لقد صبحهم عدو لا يقل عنهم شأنا ولا قوة وعزة ومنعة .
فعدوهم أيضا جماعة ، بدواحدة ، يلبسون الدروع ، تحميهم كتيبة
مدججة بالسلاح ، شهباء من كثرة بياض الأسلحة في هذه الكتيبة .

(راعهم ضبر لباسهم الحديد مؤلب تحميهم شهباء ذات قوائس
رمّازة تأبى لهم أن يحربوا) ^(١) . لها فروع تمّوج من كثرتها ،
قائمة على حراستهم تأبى لهم أن يسلبوا .

تري الطرق وقد طلعت منها كل دابة مشرفة غليظة القوائم
تتهب الأرض بأقدامها ، وأفراس ممثلة اللحم ، طويلة المتن ،
تقرع حوافرها الأرض ، وقد ألف الحافر تلك الحجارة الشديدة ،
يهتز من حدته في لجامه ، كما يهتز جذع النخلة إذا اعتلاها
المشذب .

من كل فجّ تستقيم طمرّة شوهاء أو عبل الجواراة منهيب
خاظم البضيع له زوافر عبلة عوج ومسن كالجديلة سلهب

١- الضبر : الجماعة الذي يغزون على أرجلهم . شهباء : بياض من كثرة
السيوف ذات قوائس : ذات فروع ، رمّازة : كثيرة تمّوج من كثرتها .
يجربوا : تؤخذ حريبتهم . وحريبة الرجل ، ماله الذي يسلبه .

وحوافر تقع البراح كأنما ألف الزماع بها سلام صلب
يهتز في طرف العنان كأنه جذع إذا فرع النخيل مشذب^(١)

وبعد أن فرغ الشاعر من وصف قوة الفريقين ، أدار المعركة بينهما . لقد نهأت الكتيبة للقتال ، وأحست بقرب وقوعه ، وصدق حدسهم في ذلك . توالت الغارات من كل جانب ، غارات عديدة لإتحصى ، قد استجمعوا كل عدة ، يدعوهم الداعي إلى الغارات فيطرون إليها بكل طويلة ملبنة . جرداء . (طاروا بكل طمرة ملبونة جرداء يقدمها كميت شرجب)^(٢) .

لقد رموا بغبار كثيف من أثر الخيل ، فإذا بهذا الغبار من كثرتة يشكل سحابة في السماء لا تبرح ، لقد تبادلوا الطعنات ، وأشرعت الرماح ، رماح سمر تهتز دون عيب ولا خور ، ولكنها مشدودة صلبة ، رماح لطيفة الحد تتلهب من شدتها . فأبارت

١- الطمر : الفرس الجواد . شوها : حديدة البصر . (لسان العرب مادة : شوه) العبل : الضخم . الجزارة : القوائم . خاطي البضيع . ممثلي اللحم . زوافر عيلة : وسطه ضخيم . متن سلهب : أى طويل مجدول . الزماع : ظلف الشاة . السلام : الحجارة . فرع النخيل : علاها .

٢- الطمرة : الطويلة . ملبونة : فرس ملبون ولبين ، قد ربى باللبن . جرداء : قصيرة الشعر . شرجب : طويل الجسم . كميت : لون ليس بأشقر ولا أدهم .

السيوف جمعهم ، وانكشفت الغارات عن أسلاب من الطعائن ، وفرّ
الجمع هارباً مدبراً ، عاثوا في الأرض وانتشروا فيها ، كما هزت
رياح الجنوب السحاب فانتشرت في الأرض .

• رؤية فينة •

ارتباط القصة بموضوع القصيدة :-

لقد ساق الشاعر هذه القصيدة في محبوبته " غضوب " أحبها
وتعلق بها ، ولم يلق منها سوى الصد والهجران والبغضاء ،
والرصد والحراس ، والنأي والرحيل . ومع تعلق قلبه بها فقد
وصل إلى طريق مسدود :-

هجرت غضوب وحبّ من يتحب وعدت عواد دون وليك تشعب
ومن العوادي أن تقتك ببغضة وتقاذف منها وأبك ترقب
شاب الغراب ولا فؤادك تارك ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

ثم يروح يكشف عن أيامه الحلوة معها ، ويصفها بالغزال
الصغير ، غضيب الطرف ، ويفيض به مايعانيه من وجد بعد
وصفها ، وتذكر أيامها ، فيحلف بالإيمان العديدة أنه يهواها .
ويزجر قلبه عن التعلق بها لبعد منالها .

لقد يأس من هذا النوال ، بعد مفارقتها وأهلها للديار :-

فاليوم إما تمس فات مزارها منا وتصبح ليس فيها مأرب
وبعد هذا ، وبعد هذا اليأس من مزارها ، أو مأرب فيها ،
ساق قصته . ولذلك جاءت نهاية القصة بهذه الصورة ، نهاية
مفجعة مدمرة ، لكل الأنس الذي كان يعيشه هؤلاء الناس . هذا من
ناحية النهاية وموافقتها لموضوع القصيدة .

وشئ آخر ينبغي أن نلاحظه ، وهو وصفه لهذه المجموعة
من الناس وكيف كانت تعيش في البداية :-

فالدهر لا يبقى على حدثانه أنس لفيف ذو طوائف حوشب
فهم جماعة من الناس كثر " في مجلس بيض الوجوه " ولا
أرى تبريراً لوصف الشاعر لهذه الجماعة بأنهم بيض الوجوه ، لا
أرى تبريراً لذلك إلا أنه وصف هذا الجمع وفي ذهنه " غضوب "
وكأنه يصف مجلسه هو . ونلاحظ أنه أعقب هذا الوصف " بيض
الوجوه " بقوله " يكنهم غاب كأشطان القليب منصوب " كأن هذا
المجلس يحتاج إلى حراسة . وقد ألمح قبل ذلك إلى الرقباء
والحراس عند وصفها في البيت الثاني من القصيدة بقوله :-

ومن العوادي أن تقتك ببغضة وتقاذف منها وأنتك ترقب

أى ترصد وتحرس . ومع أنه بدأ قصته بوصف هذه الجماعة الكثيرة ، وتحدث من بداية قصته بصيغة الجمع " بيض الوجوه " يكنهم غاب " ، " متقارب أنسابهم " " أعزة " ، " فإذا تحومى جانب " بذخاء كلهم " ومع أن القصة كلها تحكى عن جماعة من الناس وبصيغة الجمع ، فقد جاء التعبير بصيغة المفرد مرة واحدة دون تقديم ولا تمهيد : " نو سورة " ، " يحمى المضاف " ، " مصع يكاد إذا يساور يكلب " . ونيس هناك من تفسير لذلك سوى أن الشاعر وهو يصف هذا الجمع الكثير ، ماكان يصف سوى جماعته ، وقد عرّج بالحديث عن نفسه دون تمهيد مسبق ، فوصف نفسه بأنه ذو سورة إذا قاتل ، وبأنه يحمى من يلجأ إليه ، فهو شجاع كريم ، وإذا استغضب غضب .

• والنهاية :-

فرقت السيوف جمعهم ، ثم ماذا ؟ " أبرزوا عن كل راقنة تجر وتسلب " كشفوا لهؤلاء المغيرين عن كل راقنة - والراقنة : المرأة المتضمخة بالزعفران - أرايت ماذا فقد هؤلاء ؟ وبعد هذه الحرب الضروس فقدوا كل راقنة تجر وتسلب . مافقده هو مافقده الشاعر ، وهو ماساق القصيدة من أجله . وهذا يوضح ارتباط القصة بموضوع القصيدة .

الشخصيات :-

الشخصية الأولى فى القصة ، هى شخصية الشاعر نفسه ، لأنها قصته ، قصة حبه الضائع ، قصة حبيبته التى ضاعت منه " فهو يصف نفسه أولاً ولكنه يصف نفسه بقومه ، فهو جزء من كل هو من قبيلة كبيرة ، " أنس لفيف " ووسط قوم مدججين بالسلاح وأعزة ، ولا يخافون ، عظماء الشأن . ومع أن قبيلته بهذه الصورة ومع أنه قوى بقيلته ، إلا أنه قوى بنفسه أيضاً فهو ذو سورة ، ويخفى من لجأ إليه . فوصف القبيلة وتحديدها وصف للشاعر وتحديد له .

الشخصية الثانية هى الطرف المقابل . لنقل إنهم أهل " غضوب " محبوبته الذين انتزعوها منه ، والذين حالوا بينه وبينها . وهم أيضاً قد حُددت صفاتهم . فهم جماعة كثيرة ، لباسهم الحديد والدروع . وهى جماعة مساوية تماماً لجماعة الشاعر ، فكما أن جماعة الشاعر " يكنهم غاب كأشطان القلب " فهذه الجماعة أيضاً " تحميمهم شهباء ذات قوائس رمّازة " ^(١) وهنا نلمح التوازي فى رسم شخصية أهل الشاعر ، مع شخصية أهل المحبوبة .

١- ذات قوائس : لها فروع كثيرة . رمّازة : تموج من كثرتها .

ونلاحظ هنا في رسم الشخصيات ، أنها لا تقيم معلما واضحا لكل شخصية على حدة ، وإنما هذا جمع كثير قوى ، قد التقى بجمع كثير قوى ، فمعالم الشخصيات هنا باهتة وغير واضحة .

• الأحداث :-

لا يوجد سوى حدث واحد في هذه القصة ، شغل الشاعر نفسه به ، وهو ضياع المحبوبة من بين يديه . حالوا بينه وبينها . وتبدأ الأحداث في التحرك بقول الشاعر :-

بيناهم يوما كذلك راعهم ضبر لباسهم الحديد مؤلب
فقد راعهم وفجأهم جماعة أخرى . تتلو هذه البداية ركود وتوقف في الأحداث لوصف هذه القوة التي راعتهم . ثم :

فتعاوروا ضربا وأشرع بينهم أسلات ماضغ القيون وركبوا
وهنا دارت المعركة ، وليس فيها أحداث ، ولا كز ولا فر ، ولا إقبال ولا إدبار ، وإنما ، وحتى في أحداث المعركة ، نرى الشاعر قد شغل بوصف السيوف والرماح . ثم " فأبار جمعهم

السيوف " وترتب على ذلك " أبرزوا عن كل راقنة تجرّ وتسلب " و " استندبروهم يكفئون عروجهم " (١) .

فالأحداث في هذه القصة قليلة من ناحية ، وليس فيها تسلسل ولا نمو من ناحية أخرى .

• الصياغة والأسلوب :-

اعتمد الشاعر هنا في صياغة الأحداث على طريقة السرد الإخباري للقصة من بدايتها إلى نهايتها .

وقد اعتمد على الوصف والتصوير في بعض المواقف ، وأكثر من التشبيه " غاب كأشطان القلب " ، " يتقى كما يتقى الطليّ الأجرّب " ، " يهتز في طرف العنان كأنه جذع إذا فرع النخيل مشدّب " " أخذى كخافية العقاب " واستندبروهم يكفئون عروجهم مور الجهام .

• بين البداية والنهاية :-

بدأ الشاعر قصيدته بقوله :-

فالدهر لا يبقى على حدثائه أنس لفيف ذو طوائف حوشب

وجاءت نهاية القصة بالإبادة والموت . وقد ذكرنا في القصة السابقة أن هذا المطلع قد أصبح لازمة للهذليين ، غير مرتبط بنهاية القصة ، ولا مخبر عنها . وأن نهاية القصة مرتبط بموضوع القصيدة ، ويختلف باختلاف موضوعها .

ولما كان الشاعر قد يأس من وصل غضوب له ، فقد اختار هذه النهاية لهذا الأتس اللفيف .



abo ghla



القمة الأولى لأسامة بن الحارث^(١)

﴿ افتـراب ﴾

• تقديم :-

أسامة بن الحارث رجل مفزع بالهجر دائماً ، مفزع بترك
أحبابه له .

ينصح أهله بعدم الغربة ، بعدم مغادرة الديار ، بعدم مفارقة
الأهل ، ولا يسمع له أحد .

عصاك الأقارب في أمرهم فزايـل بأمرك أو خالط^(٢)
ومرة أخرى يقول :-

١- قال عنه محقق ديوان الهذليين ، ج ٢ ، مانصه : أسامة بن الحارث
الهذلي لم ثقف على ترجمة وإفيه له فيما لدينا من المظان . ج ٢ ، ص
١٩٥ . وقد تحدث عنه ابن قتيبة في " الشعر والشعراء ، ص ٦٧٠ وهو
يتحدث عن أخيه مالك بن الحرث الهذلي فقال " شاعران مجيدان جميعاً
وأشار إلى أن ترجمة أسامة في (اللآلي ٨١ ، والإصاية ١ : ١٠٦) .

٢- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

أبى جدم قومك إلا ذهاباً أنابوا وكان عليهم كتاباً^(١)
ومرة ثالثة ينصح رجلاً من قيس هاجر فى خلافة عمر بن
الخطاب رضى الله عنه :-

عصانى أوس فى الذهاب كما عصت عسوس صوى فى ضرعها الغبر مانع^(٢)
عصانى ولم يردد على بطاعة لمكث ولم تقبض عليه الأشاجع^(٣)

وهو فى هذه القصيدة التى بين أيدينا ينصح خالداً هذا المذكور
فى القصيدة بعدم الذهاب إلى الشام ولم يستمع له ، فراح ينشد
القصيدة ، أو يروى القصة التى قدم لها بمقدمة لانتقول عنها غزلية
، وإنما هى حديث مع جارته . وربما كانت جارته هذه ، هى نفسه
التى بين جنبيه .

• يقول فى المقدمة :-

أجارتنا هل ليل ذى اهم راقد أم النوم عنى مانع ما أراود
أجارتنا إن امراً ليعوده من ايسر مما بت أخفى العوائد

١- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

٢- العسوس : السيئة الخلق من الإبل . صوى : يبس ضرعها ، الغبر : بقية
اللبن فى الضرع .

٣- ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

تذكرت إخواني فبت مسهوا كما ذكرت بوا من الليل فاقد
لعمري لقد أمهلت في نهى خالد عن الشام إما يعصينك خالد
وأمهلت في إخوانه فكأنما يسمع بالنهاى النعام الشوارد
فقلت له لا المرء مالك نفسه ولا هو في جذم العشيرة عائد
أسيت على جذم العشيرة أصبحت تُقَوِّرُ منها حافة وطرائد

وهكذا نلمح من المقدمة ألم الشاعر وحزنه على عشيرته التي
يقطع منها قطعة قطعة حتى تذهب وتندثر .

وقد بدأ الشاعر بعد هذه المقدمة إلى سوق قصته " اغتراب "

فقال :-

فو الله لا يبقى على حدثانه طريد بأوطان العلاية فارد
من الصحم ميفاء الحزون كأنه إذا احتاج في وجه من الصبح ناشد
يصيح في الأسحار في كل صارة كما ناشد الذم الكفيل المعاهد
فلاه عن الآلاف في كل مسكن إلى لحق الأوزار خيل قوائد
أرته من الجرباء في كل منظر طبابا فمشواه النهار المراكد
يظل محم المم يقسم أمره بتكلفة هل آخر اليوم آئد
بقادم عصر أذهلت عن قرانها مراضعها والفاصلات الجدائد
إذا نضحت بالماء وازداد فورها نجا وهو مكدود من الغم ناجد

يحالج بالعطفين شأوا كأنه
يقرنه والنقع فوق سراته
إذا لج في نفر يشق طريقه
كان سراقيا عليه إذا جرى
وحلأه عن ماء كل ثميلة
وشقوا بمنحوض القطاع فؤاده
فحدث أنهاء له قد تقطعت
له مشرب قد حلت عن سماله
كأن سيخ الطير فوق جماله
بمظامة ليست إليها مفازة
فما طله طول المصيف ولم يصب
إذا شده الربع السواء فإنه
أناب وقد أمسى على الباب قبله
حريق أشاعته الأبناء حاصد
خلاف المسيح الغيث المتراقد
إراغة شد وقعه متواطد
وحاربه بعد الخبار الفدافد
رماة بأيديهم قران مطارد
لهم قنرات قد بنين محائد
وأشمس لما أخلفته المعاهد
من القيظ حتى أوحشته الأبواب
إذا ضربته الريح صوف لبائد
عليها رماة الوحش مشى وواحد
هواه من النوء السحاب الرواعد
على تمه مستأنس الماء وارد
أقيدر لا ينمي الرمية صائد^(١)

• رؤية لغوية :

هذه هي القصة ، قصة اجتماعية ، تصور الاغتراب وما
يعانيه الإنسان عندما يكون بعيدا عن أهله . وقد بدأ قصته بالبداية

المعهودة عند الهذليين " فوالله لا يبقى على حدثانه " وبطل قصته في هذه المرة لن يكون فارها ، ولا مرفهاً ولا منعماً وإنما هو طريد .

فوالله لا يبقى على حدثانه طريد " وهو فارد^(١) وحيد .

وحتى لونه " من الصحم " وهو السواد إلى الصفرة . والمكان ميفاء الحزون ، وهو ماغلظ من الأرض . يصحبه ظلام الليل . ويظل يتشدُّ الصباح . يالها من صورة ناطقة للمغرب بعيداً عن أهله ودياره . يهيج الظلام ، ويروح يتطلع إلى بصيص من ضوء ، يصيح في الأسحار ، في كل صارة^(٢) ، يصيح في أعالي الجبال ، ويرتد صوته إليه ، لقد ألجأه إلى هذا المكان خيل قوائد .

فلاه عن الآلاف في كل مسكن إلى حق الأوزار خيل قوائد^(٣)

لقد عزلته الخيل المطاردة عن غيره . يقلب بصره بين أرض

١- لم نمل إلى مذكره شارح الديوان من تفسير كلمة " فارد " بمعنى الممتلي من الحمير (الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، واخترنا مذكره اللسان " ناقة فاردة ، ومفراد ، تتفرد في المراعى . والذكر فارد لا غير (لسان العرب مادة فرد) . ليتمشى مع جو النص الذي ذكرناه .

٢- الصارة : من الجبل أعلاه .

٣- فلاه : نحاه . الأوزار جمع وزر وهو الملجأ . (اللسان مادة وزر) .

راكدة جرداء غامضة ، وبين سماء " جرباء " يقضى الوقت وقد
ركد الهم على صدره . ينظر فى هذا النهار الطويل " هل آخر
اليوم آند ؟ هل يذهب هذا اليوم ؟ فيستريح بمجئ الليل وليس هذا
و فقط ، ليست الوحدة والهم ، ولكن الرماة كانوا له بالمرصاد .

لقد منعوه من ورود الماء ، وترصدوا له فى كل مورد
بنبالهم :-

وحلاه عن ماء كل ثميلة رماة بأيديهم قران مطارد ^(١)
وشقوا بمنحوض القطاع فؤاده لهم قترات قد بين محاتد

لقد أضعفوه وأنهكوه نفسيا وجسديا . إنه يرى نبلهم ونصالهم
تلمع فى كل طريق ، ووراء كل حجر . وعلى كل ماء . لقد راح
يعاود غدراننا عرفها قبل ذلك يلتمس بعض الماء . فوجد هذه
الغدران وقد نضب ماؤها .

لم يعد هناك مفر من العيش على تلك الثمالة الباقية من الماء
المتغير الأسن :-

كان سيخ الطير فوق حمامه إذا ضربته الريح صوف لبائس
وسط هذا الظم الذى ليس منه نجاة ، كان رماة الوحش

يتصيدون خطاه ويتتبعون سيره . ومر الصيف ، ولم تمطر سحابة واحدة . ولم يعد هناك من مخرج . إن قصد مكانا يحن إليه ، أو يهواه ، سبقه إليه صائد مدرب .
إذا شده الريح السواء فإنه على قمة مستانس الماء وارد
أناب وأمسى على الباب قبله أقيدر لا ينمي الرمية صائد
وتنتهي القصيدة ، وتنتهي معها القصة ، والنهاية مفتوحة .
وهي المجهول الذي يترصد كل غائب ، وكل مفارق لأخوانه .

• رؤية فنية :

صلة القصة بمقدمة القصيدة :

في هذه القصة تجد الترابط الواضح جداً بين مقدمة القصيدة وبين القصة فالمقدمة تتحدث بصراحة ووضوح ، وألم وحزن عن الغربة والاعتراب وما يحدثانه بالإنسان من ناحية ، وبقييلته من ناحية أخرى .

عن الشام إما يعصينك خالد	لعمري لقد أمهلت في نهى خالد
يسمع بالنهى النعام الشوارد	وأمهلت في إخوانه فكأنما
ولا هو في جدم العشيرة عائد	فقلت له لا المرء مالك نفسه
تقور منها حافة وطرائد ^(١)	أسيت على جدم العشيرة أصبحت

وقد جاءت القصة تضرب على هذا الوتر ، وتصور الغريب طريداً ، وحيدا لا أهل له ، هائج ثائر ، حائر اللب ، من يراه يحسبه يطلب شيئاً ضلّ له . اضطرته الخيل المطاردة إلى اللجوء والاختباء ، ومتعته الماء والحياة ، يسيطر عليه الهم ، ويطول اليوم عليه ، حتى يتمنى زواله . أجهده الحصار نفسياً وبدنياً ، واضطر إلى شرب الماء الأسن ، وما من خطوة يخطوها إلا والخطر يداهمه . وهي قصة تصور آلام الغربة النفسية والبدنية ، وتأتى وهي وثيقة الصلة بمقدمة القصيدة .

• الشخصيات :-

ليس فى القصة سوى شخصية واحدة أبدع الشاعر فى تصويرها وتناول بعدها النفسى ، وأغفل البعد الجسدى ، لأن الكل يتساوى أمام الغربة وآلامها ، الضعيف والقوى ، والطويل والقصير والعزیز والذليل ، المهم هنا هو البعد النفسى . وقد صور الشاعر هنا تلك الشخصية بأنها " طريدة " وبأنها " فارد " وحيدة . واختار لونها أسوداً فى أصفر ، تشرف على أماكن غليظة وتروح تنظر إلى هنا وهناك كمن ينشد ضالة له . مهموم دائماً (يظل محم الهم) يتكفأ (يعالج بالعطفين شأوا) وهو فزع وقلق إلى غاية المدى (وشقوا بمنحوص القطاع فؤاده) ذلك هو البعد النفسى

للشخصية التي معنا . وقد ساعد رسم الشخصية هنا ببعدها هذا ، بل إنني أؤكد أن عدم تناول البعد الجسمي قد قصد لفهم أن أي إنسان مهما كانت درجة تحمله ، ستكون الغربة مؤلمة عليه . مما ساعد في خدمة الغرض الأساسي في القصة .

• الأحداث :

الحدث الوحيد في القصة هو ترك الديار ، هو الطرد من الديار ، ذلك الذي وقع في أول القصة ، وبعده توالى كل الأحداث على هذا الطريد الغريب لقد طلعت الخيل عليه فحاصرت في مكانه وأخلفت السماء وعدوها ولم تمطر ، وتوالى هجمات الصائدين عليه تتري ، ولا ينجو إلا وهو مكدود وقد غلب الغبار .

وأخيراً ظهر الرماة بأيديهم النبال ، فمنعوه من ورود الماء . مامن عين يقصدها إلا والصائد يسبقه إليها ، فالحدث الوحيد هنا هو مغادرة الأهل والديار ، وكل ما يحدث بعد ذلك إنما هو نتيجة لهذا الحدث .

• الصياغة في القصة :-

اعتمد الشاعر طريقة السرد للأحداث وحكايتها ، واعتمد على التشبيه في كثير من المواقف من مثل قوله " كأنه إذا احتاج في وجه

من الصبح ناشد "

كما ناشد الهم الكفيل المعاهد كأن سرافيا عليه إذا جرى
كأن سيخ الطير فوق حمامه إذا ضربته الريح صوف لبائس

• بين البداية والنهاية :-

بدأ الشاعر قصته بقوله " فوالله لا يبقى على حدثانه " والقصة تتحدث عما يلاقيه الغريب من عدم أمن وذل وهوان وجوع ومطاردة وجاءت النهاية ، وفيها ضياع ، وفيها خطر ، وفيها كل شيء إلا الموت والهلاك . ولعل هذه النهاية تردُّ على من عاب على القصة في شعر هذيل ووصفها النهاية سلفا بقول الشاعر " والدهر لا يبقى على حدثانه " وكأن الشاعر بهذه الجملة قد ساق النهاية ، قد ساق الموت والعناء وهو نتيجة القصة ونهايتها ، ساق ذلك في البداية ^(١) فالنهاية هنا لم تأت بالموت ، وإن كانت قد أشارت إلى الخطر الذي يترصده . ولعل هذه النهاية أيضا تؤكد ماقلناه من أن بداية القصيدة بقول الشاعر " والدهر لا يبقى على حدثانه " تحولت إلى مثل قولنا عند رواية قصة " كان ياما كان " .

والشاعر قد قصد إلى أن تكون النهاية فيها الخطر وفيها

الأهوال وفيها الهموم ، فيها كل شيء إلا الموت . لأنه يصدد زجر
الأحبة عن الاغتراب ، ولكنه يرفض في أعماقه ألا يصيبهم مكروه
ولا موت ، حتى وإن خالفوه ، حتى وإن لم يستجيبوا لنصحه .



١) قصص أمية بن أبي عائد

﴿ طيف الخيال ﴾

والقصة في الشوق والوجد لمحبوبته . ونهايتها نجاة من الموت وعيش في وحدة وخوف . وقد قدم الشاعر لقصته بمقدمة غزلية فقال :-

١- أمية بن أبي عائد : ترجم له صاحب الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ٥ . وكان مما ذكره عنه أنه ، أمية بن أبي عائد العمري ، أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية . وكان أحد مداحي بني مروان . وله في عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان قصائد مشهورة . وقد ذكر ابن الأعرابي وأبو عبيدة ، أنه وفد إلى عبد العزيز وإلى مصر وقد امتدحه بقصيدته التي أولها :-

ألا إن قلبي مع الظاعين
حزين فمن ذا يعزي الحزين
وطال مقامه عند عبد العزيز ، وكان يأنس به ، ووصله صلات سنية فتشوق إلى البادية وإلى أهله . فقال لعبد العزيز :-

متى راكب من أهل مصر وأهله
بمكة من مصر العشية راجع
وذكر عدة أبيات بعد هذا البيت . فقال له عبد العزيز : اشتقت - والله - إلى
أهلك يا أمية . فقال : نعم والله أيها الأمير . فوصله وأذن له .

ألا يا قوم لطيف الخيال يؤرق من نازح ذى دلال
أجواز إلينا على بعده مهاوى خرق مهاب مهال
صحارى تغول جنانها وأحدا ب طود رفيع الجبال
خيال لجعدة قد هاج لي نكاسا من الحب بعد اندمال
تسدى مع النوم تماثها دنو الضباب بطل زلال
فباتت تسائلنا فى المنام وأحبب إلى بذاك السؤال
تشى التحية بعد السلام ثم تفدى بعم وخال

إلى أن بدأ فى القصة التى تصور حاله وشوقه للمحبوبة فقال:-

أو أصحمَ حامٍ جر اميزه جزاية حيدى بالدحال^(١)
يُرِنَ على مغزيات العقاق ويقرو بها قفرات الصلال^(٢)
مُرَبَّأً بهن له أميره وهن له حاذرات قوالى^(٣)
لواها عن الماء حتى أبت -حب الورود - أنيق الأكال

١- الأصحم : سواد إلى صفرة . جراميزه : بدنه . جزاية : مجتمع الخلق .
الدحال : جمع دحل وهو الهوة من الأرض فيها ضيق .

٢- يرِنَ : يصوت . المغزية من الإبل التى جازت الحق ولم تلد . وأتان
مغزية ، متأخرة النتاج (لسان العرب مادة غزى) العقاق : تضخم البطن
عند الحمل . يقرو : يتبع . الصل : مانفرق من المطر .

٣- مُرَبَّأً : ملازما لهن .

من صيهد الشمس برد السَّمال	وذكرهم في فبح نجم الفروع
كبت النوى بالربا والهجال ^(١)	فظلت صوافن خوص العيون
ويوفي زيازي حذب التلال ^(٢)	وظل يسوف أبواهـا
حتى تقلع في الظلال ^(٣)	مشيفا يراقب شمس النهـار
جوائها وهو كالمستجال ^(٤)	فطـاف بتعشيره والتحي
لآثار منكشآت عجـال	وهيجها لاحـقق وقعه
بالمروطى لاحقات التـوالى	نواجي مندقات الصـور
عين الرصافة ذات النجـال	يؤم بها وانتحت للنجـاء
زواهي ضرب فلاة بقال ^(٥)	تهادى حوافرها جنـال
أرضا ويغتاها باغتيال ^(٦)	إذا غربه عمهن ارتفعـال
وهن جوافل منه جـوال ^(٧)	تجيش عليهن جياشـال

- ١- الصاقن : الذى قد رفع إحدى قوائمه . الهجال : ما طمان من الأرض .
- ٢- يسوق : يشم . الزيازي : ما غلظ من الأرض .
- ٣- مشيفا : مشرفا .
- ٤- تعشيره : نهيقه . كالمستجال : كأنما أصابه فرع .
- ٥- تهادى : تقادف به اليد إلى الرجل ، زواهي : نواذر . الفلاة : العو
الصغير الذى يضرب به القال . والقال : العود الكبير الذى تضرب به القلة
- ٦- غربه : حدثه ونشاطه . يغتاها : يلحق بها .
- ٧- جوافل : هوارب ، جوال : تركن مكانهم وأقلعن عنه .

يغض ويغضضن من ربيــــــــق	كشؤبوب ذي برد وانسحال ^(١)
إذا ما انتحين ذنوب الحضــــــــار	جاش خسيق فريغ السجــــــــال ^(٢)
يحمي الحقيق إذا ما احتــــــــد من	حمحم في كوثر كالجلــــــــال ^(٣)
كان الطمرة ذات الطمــــــــاح	منها لضبرته بالعقــــــــال
فأوردها مستحير الجمــــــــام	ذا طحلب طافيا في الضحــــــــال
فلما وردن ابتدرن الشرــــــــوع	يسط الأكف لأخذ العوالــــــــي
فألقت حجابها في الجمــــــــام	ميح القماقم مافي القــــــــلال ^(٤)
تجبل الحباب بأنفاســــــــها	وتجلوا سيخ جفال النــــــــسال ^(٥)

- ١- يغض : يكفكف من جريه . يغضفن : يجريين بلا حساب ، شؤبوب : سخاية رقيقة شديدة وقع المطر . الانسحال : الانصباب .
- ٢- انتحين : تحرفن له . ينر خسيق : إذا كثر ماؤها . جاش خيف : أي فار عليهم بحر من عدوه ودأبه فريغ : واسع العدو .
- ٣- الحقيق : ما يحق عليه أن يحميه . احتد من : اشتد عدوه من . حمحم في كوثر : غبار كثير . الجلال : الغطاء .
- ٤- الجحافل : جحافل الخيل : أفواهما . وحجلة الدابة ما تتناول به العلق . والجمام : الماء الكثير . الميح : أن يدخل البئر فيملأ الدلو . وامناع من الهواء ، استقى (لسان العرب مادة ميع) القمقم : الجرة . والقمقم : ضرب من الأواني ، وما يستقى به من نحاس والقلعة : الجرة العظيمة .
- ٥- تجبل الحباب : تنفخه بأنفاسها ، والمقصود حباب الماء . والجفال : ما تنفاه السيل من الغشاء والسيخ : مانسل من الريش فوق في الماء .

- وتلقى البلاعيم في بـ____رده
 فلما وردن صدرن النقيـ____ل
 فأسلكها مرصداً حافظـ____ا
 مقيتا معيدا لأكل القنـ____ص
 له نسوة عاطلات الصـ____دو
 تراخ يدها لمحشـ____ورة
 كخشرم دبر له أزمـ____ل
 على عجس هتافة المذروبيـ____
- (١) وتوفي الدفوف بشرب دخال
 (٢) كأوب مرامي غوي مغالي
 (٣) به ابن الدجي لاصفا كالطحال
 ذا فاقة ملحمل للعال
 رعوج مراضيع مثل السعال
 (٤) خواطي القداح عجاف النصال
 (٥) أو الجمر حش بصلب جزال
 (٦) ن زوراء مضجعة في الشمال

- ١- البلاعيم : مجارى الطعام والشراب . توفي الدفوف : تملأ جنوبها بالماء حتى تنتفخ . الدخال : أن يدخل بين كل بعيرين بعير شرب قبل ذلك .
 ٢- النقيـل والمناقلة : ضرب السير ، وهو بين العدو والخبـب . والمرامى : السهام ، المغالى : الذى يغالى أيهما أبعد سهما .
 ٣- أسلكها : سلك بها . الدجي : جمع وجيه وهو مكان يتوارى فيه الصائد .
 ٤- المحشورة : نيل ألق قذها . خواطي : متان . عجاف النصال : مرهقة رقيقة .
 ٥- الخشرم : جماعة النحل والزنانير . الدبر : النحل . الأزمـل : الصوت .
 حش : أوقد بحطب صلب . جدل .
 ٦- العجس : مقيض القوس . هتافة المزروين : أى لطرفيها صوت .
 زوراء : معوجة .

- بها محصن غير جافى القـوى
فهيث ساعة افقرته
يصيب الفريض وصدقا يقو
فعمّا ليل سقاها معا
سوى العليج أخطأه رائفا
فجال عليهن في نفـره
فلما رآهن بالجلهتيـ
رمى بالجراميـز عرض الوجين
- إذا مُطَّ حَنَ بورك حُدال^(١)
بالإيفاق والرمي أو باستلال^(٢)
ل مرحي وأجى إذا ما يُوالى^(٣)
بزعف ذيفان قشبي ثمال^(٤)
بشجراء ذات غرار مُسال^(٥)
ليفتنهـن زوال الزوال^(٦)
ن يكون في مطحرات الإلال^(٧)
ن واردة في الجوى بعد انفتال^(٨)

- ١- المحصن : الوتر . إذا مُطَّ : إذا جُرَّ . بورك : بقوس غملت من وراك
شجرة ، أى أصل شجرة . قوس محدلة : لأعوجاج رأسها .
٢- هيث : رجع بيده إلى كنانته ليأخذ . استلال : أه . يستل معبته أى
نصله الطويل العريض من جعبته .
٣- الفريض : مضغة مرجع الكتف . مرحي ، وأجى يقال عند الفرح .
٤- مزعف : الزعاف سم ، وسم ذعاف أى قاتل . الزيفان : السم . قشبي :
ما يخلط السم ، ثمال : منقع .
٥- شجراء : أرض واسعة غليظة . ذات غرار : أى ذات حد . مسال : مطال .
٦- جال : اعتمد . زوال الزوال : أى ليزول بهن عن الرامى .
٧- الجلته : ما استقبلك من جانب الوادى . مطحرات : سهام . الإلال : الحراب .
٨- جراميزه : جرمه أو جسمه . الوجين : ما اعترض لله من غلط . أرمد : أسرع
فى العدو .

- بشأوله كضريم الحريم —
 يمر كجندلة المنجنيح —
 فماذا تخطرف من حالق
 فأحيا وجيفاً وآلافه
 وقطّعت ألواذ داوية
 وليل كأن أفانينه
 وأضحى شفيفاً بقرن الفلا
 فإن يلق خيلاً فمستضلع
- ق أو شقة البرق في عرض حال^(١)
 ق يرمى بها السور يوم القتال
 ومن حذب وحجاب وجال^(٢)
 تجيش بهن القدور الغوالي
 حارى غلان طلع وضال^(٣)
 صراصر جللن دهم المظالي^(٤)
 ة جذلان يأمن أهل النبال^(٥)
 ترحزح عن مشرعات العوالي^(٦)

- ١- شقة البرق : انشقاقه . الخال : السحاب .
 ٢- تخطرف : وثب من مرتفع . الحذب : ما أشرف . الجال : حرف الجبل .
 ٣- الألواذ : ما كان بالقلاة ، واللوذ : حوض الجبل . الغلان : جمع واحد غال وهو ما اطمأن من الأرض وكثر شجره . الضال : شجر السدد .
 ٤- أفانيفه : نواحيه . صراصر : إبل بين النجالي والغراب . الدهم : الإخيلية السود .
 ٥- شفيفا : حزينا . جذلان : فرحان .
 ٦- مستضلع : قوى . والأبيات من ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

• رؤية لغوية :

القصة هنا مختلفة ، فهي لم تأت بعد رثاء أو بكاء ميت ، ولكنها أتت بعد فجر وتشوق تشوق لجعدة ، تلك التي أحبها الشاعر ، وطال بعدها عنه ، وسبب هذا جرحا عميقا راح يندمل مع الأيام ، وراحت تسدل عليه ستر النسيان .

ورغم الفياق والقفار فقد عاوده طيفها في المنام " هاج له نكاسا من الحن بعد اندمال " وهو يصف راحلته التي ينسلى بها همومه ، تلك الراحلة السريعة ، ويشبها مرة بالثور ، ومرة بالحمار . وقبح شبها بعمار يضرب إلى الصفرة والسواد . مجتمع الخلق هذا الحمار يصوت على أتن له . أتن قد حملن ، وطال حملهن . ضخام البطوان من الحمل . شغلها الحمل ومتاعبه ، عم هدام الحمار ونزائمه لا يملن إليه ، قد قلينه وانشغلن بما في بطونهن . ومع ذلك ، فهو ملازم لهن . وهن له حاذرات قوالى .

لقد آلمه هذا الإعراض ، وراح يتفنن في تعذيب أتنه ، لقد لواها عن الماء ، منع عنها الماء ، فظلت التحمو صوافن خوص العيون غائرتها . وظل هو يسوق أبوالها ، يشم أبوالها ، ويعلو المرتفعات المشرفات . ويطوف على تلك الأتن ويعلو نهيقه عليها .

أصابه الفرع ، وراح يطوف بأنته يقصد عين الرصافة تنزبعض الماء . يد فمهن نشاطه فيرتعض إلى أعالي الصحراء ، وينطلقن مسرعات وعند ما يقلل من عدوه ، يصنعن الشيء نفس .

وهكذا الحال ما بين نشاط وفتور ، وعدو وإقلال إلى أن وصل بأنته إلى ماء كثير قد علاه الطحلب ، وألقت الأتن بنفسها فيه ، ولأت جنوبها بالماء . وبعد ما فرغن من الشرب ، صدر بهن ، وانخذ طريقا ، هذا الطريق لحظه العاثر قد قطعه صائد يترصد . وهو صائد ذو خبرة وذو حاجة . قد ترك أطفالا ونسوة مراضيع قد أضناهم الجوع .

خفت يد الصائد عند ما حانت الفرصة ، وراحت النبال والسهام بترق ، وتوالى البحث في جعبته ، وقد أصاب من الأتن حاجته ، وسقاها السم الزعاف ، والموت العاجل . إلا هذا الحمار ، فقد أخطأه ولم يصبه . وفرّ هذا الحمار الوحشي مع قليل من أتنه ، وسرعان ما كبت الأتن في مطحات الإلال في الحرب والسهام .

وعندها وجد الحمار نفسه وحيد منفردا ، فرّ بنفسه ، سرع في العدو بسرعة البرق يثب بين المرتفعات ، لا يترك مكاتا مرتفعا ولا حرفا ، ولا مكانا مشرفا إلا وثبه طالبا للنجاه .

لقد سهر ليله في خوف وفرع ، وباتت أخته تقلى بهن القدور .
لقد قطع الفياض والقفار . وخاض في ظلمات ليل حالك
وأصحبى وقد لفه الحزن ، وشفه الوجد ، وإن كان يغلف ذلك فرحته
بالنجا . وقد صار بعيدا عن المنال .

فإن يلق خيلا بعد ذلك ، يأنس بها وتقوى شوكنه .

• رؤية فنية :

صلة القصة بمقدمة القصيدة :

يتحدث الشاعر في مقدمه قصيدته عن ملك العلاقة الحميمة
التي تربطه بهذه الإنسانية " جده " ورغم ما فعله الأهل بها وبه ،
ورغم ما فرق بينهما فقد راع خيالها يقطع الصحراء ، ويزور
الشاعر ، وينكا الجراح التي كانت قد اندملت . فالشاعر رغم
جراحه وآلامه ، فما زال يأمل أن يعيش مع المحبوبة في سعادة ،
وهو قانع بطيف خيالها على الأيام تجود بوصلها . فيلملم جراحه
ويعيش في سعادة :

إلى الله أشكو الذي قد أرى من التائبات بعاقب وعال

والقصة ما هي الا صورة لهذا الشاعر بقضها وقضيضها هذا
الحمار الوصى الأمل في الوصل من أخته ، والأثن قد أنهكها الحمل

وشغلها عن صبوات ونزوات هذا الحمار ، وتثويره شهوته فيروح بصوت على الأتني من ناحية ويعلو ويسفل ، ومع ذلك وهن مشغولات منه بما في بطونهن من أجمال .

وعندما راح تهن لورود الماء ، كان القدر ، القدر المدير الذي أخذ أخته منه ، أخذها لحاجته وحاجة أولاده إليها . وضاعت منه أخته - كما ضاعت محبوبه الشاعر مع رغبات أهلها - ونجا بنفسه ويقرر الشاعر حقيقة في نهاية القصة :

فإن يلق خيلا فمستضع
تؤخر عن مشرعات العوالي

هذه الحقيقة تصدق على الحمار الوحشي ، وتصدق على الشاعر . إن عادت إليه محبوبته ، فقد أنس بها وقوى . من هنا نرى الترابط القوي بين القصة وبين المقدمة موضوع القصيدة .

• الشخصيات :

- الشخصية الأولى :

هي شخصية الحمار الوحشي وقد جمع الشاعر في البيت الأول والثاني شخصية هذا الحمار وأبعادها :

أو أصبح ، حام جراميزه
حزاية حيدى بالدحال

يرون على مغزيات عقاق ويقرو بها قفرات الصلال

فهو أصح . أسود في صفرة ، أعبر ، مجتمع البدن يعيش في هوة ضيقة من الأرض ، وهو يصوت ، على تلك الأتن التي تعيش معه ، ولكن حالها لا تسمح بالتجاوب معه فقد حان وقت هذا الحمل ولم يلدن وتضجعت بطونهن . والبعد الثاني لهذه الشخصية انه الحاكم بأمره (له أمره) يأمر فيطاع ، أو أن له شأنه ونزواته ، والأتن لا تستجيب له . مع ملازمته لهن (ميربهن له أمره ، وهن له حازرات قوالى) .

وترتب على حرمان الأتن له من نزواته ، اراح يشم أبو الها متن ناحية ويصعد القلال المشرفة وما غلظ من الأرض من ناحية أخرى . فقد راح يتخبط ولا يضبط نفسه .

- والشخصية الثانية :

هي شخصية الأتن . شخصية الإناث وقد شغلن بما في بطونهن . فالبطون كبيرة منتفخة (العقاق) وتأخرت عملية الوضع عن المعتاد . وهن بين آلام الحمل ، وبين هذا الذكر المشغول بنزواته ، ولم يرحمهن فقد لواها عن الماء ، ومنها عن الماء حتى أبت أتيق الأكال لرغبتها في الماء . ومع ذلك فهن حازرات قوالى معرضات عنه . واستدوهج الشمس مع العطش مع رفض الطعام ،

مع الحمل . لقد أصبحت الأتن غائرة العيون مفرقة بين رجليها واقفة في ضعف وألم .

- الشخصية الثالثة :

شخصية الصائد في القصة ، وقد أراد الشاعر أن يعطى لها بعدا فوصفها ووصف حالها والصائد " مقيت " مقتدر على هذه المهنة ، ومعيد لأكل القنيصي ، متعود على ذلك ، ذو فاقة ، فقيرا ، هذا الصيد ، وأولاده مقودا أكل اللحم .

ونسوة أصابهن الهزال عوج أمراض مثل السعال

• الأحداث :-

الأحداث هنا في هذه القصة تتبثق من الشخصية الاولى وهي شخصية البطل فهو تائر هائج ، يرغب في تحقيق شهواته ونزواته ، والظروف غير مهيأة له . ولذلك فقد لواها عن الماء من حية ، وقصد بها عين ماء من ناحية أخرى ، وأوررها مستحير الحمام من ناحية ثالثة ثم وهذا هو الحدث الأهم في القصة " أسلكها " ، سلك بها طريقا لسوء خطه ، ترصد له الصائد في هذا الطريق ، واستطاع أن يصطاد الأتن جمعن " فعما قليل سقاها معان بمزغف ذيفان قشب نمال " سقاها جميعا السم الزعف ، والموت العاجل ،

سوى العليج ، أخطاه عاجلاً يتجرا . نجاهذا الحمار من الموت ، وأطلق ساقيه للريح .

فالأحداث كما ترى ، لم تصدر الا من هذا الحمار الوحشى مع أنه حتى ساقيه الأقدار إلى هذا الصائد لشهى حياة الأتن وليفرن الحمار بحياته . والأحداث قليلة ، وبطيئة .

• الطيافة :-

اتكا الشاعر هنا فى هذه القصة على أسلوب السرد للأحداث يبدن على مغزيات العقاق ، لوأما عن الماء ، يؤم بها ، يجيش عليهن ، يحامى الحقيق ، فأوردها مستحير الجمام ، فالقت جحافها فى الجمام فأسلكها مرصدا حافظا .

وهكذا تسير القصة كلها على هذا النمط وقد استيخدم الشاعر فى سرده للأحداث أسلوب التشبيه ، وذلك فى مثل قوله " فظلت صوافن خوص العيون كبت النوى بالتركا والهجال " و " هو كالمستجال " وقوله " يغض وغضفن من ريق كشؤبوب ذى بردواتسحال " وقوله " حمحم فى كوثر كالجالال " وقوله :

فلما وردن ابتدأن الشرو ع بسط الأكف لأخذ العوال

وقوله :

فلما وردن صجرن النقيـل كأوب مرامي غوتي مغالى

وقوله فى رصف نكوة الصائد " مثل السعالى "

وتشبيهه للسهم وسرعتها بقوله :

كخشرم جبرله أزمـل أو الحمر حش بصلب جزال

وتشبيهه سرعة الحمار الوحشى وهو يفر بقوله :

بشأوله كضريم الحريق أوشقه البرق فى عرض خال

وتشبيهه لسواد الليل بقوله :

ولـلـ كأن أفانينه صراصير حللن دهم المظالى

وهكذا نرى الأفكاء على التشبيه بكثرة . وقد استخدم المقابلة

بين المواقف المختلفة مما ساعد على إبراز الصورة وتوضيحها .

وذلك فى مثل قوله :

فأحيا وجيفا وآلافه تجيش بهن القدور الغوالى

فالحمار قد لاذ بالفرار ، وأحياليله ليتجف به فى السير ،

وآلافه وأنته قد صيدن ، وباليتهى قد صيدت فقط ، ولكنها قد

صارت تجيش بهن ، وتغلى بهن القدور طعاما لأنباء ونسوة

الضائد.

وذلك البدن الذي كان مصدر قوة في بداية القصيدة :

أو أصحح حمام جراميزه حزاوية خزي بالدحال

أرأيت إلى " جراميزه " هنا هي تشكل القوة والفتوة . يستخدم الشاعر تلك اللفظة ، والحماس يهت ويقر ، وقد أصبحت بك الجراميز خطر اعليه ولذلك يقول :

فلمسا رآهن بالجكهتين يكون في مطحرات الإلال

رمى بالجراميز عرض الوجين وارمد في الجري بعد انفتال

وفي المرة الأولى كانت " جراميزه " مضافة إليه ومتسوبة إليه وفي المرة الثانية " رمى بالجراميز " بدون إضافة لأنها في حالة الحرب أصبحت حملاً ثقيلًا على يثرب منه .

وقد اعتمد الكناية أيضاً في بعض المواقف من مثل قوله :

" وظل يسوف أبوالها " وهو كناية عن حالة الشبق التي مير بها .

وقوله :

فأسلكها مرصداً حافظات به ابن الدجي لاصقاً كالطحال

" وانب الدجي " كناية عن الضائد .

وقوله :

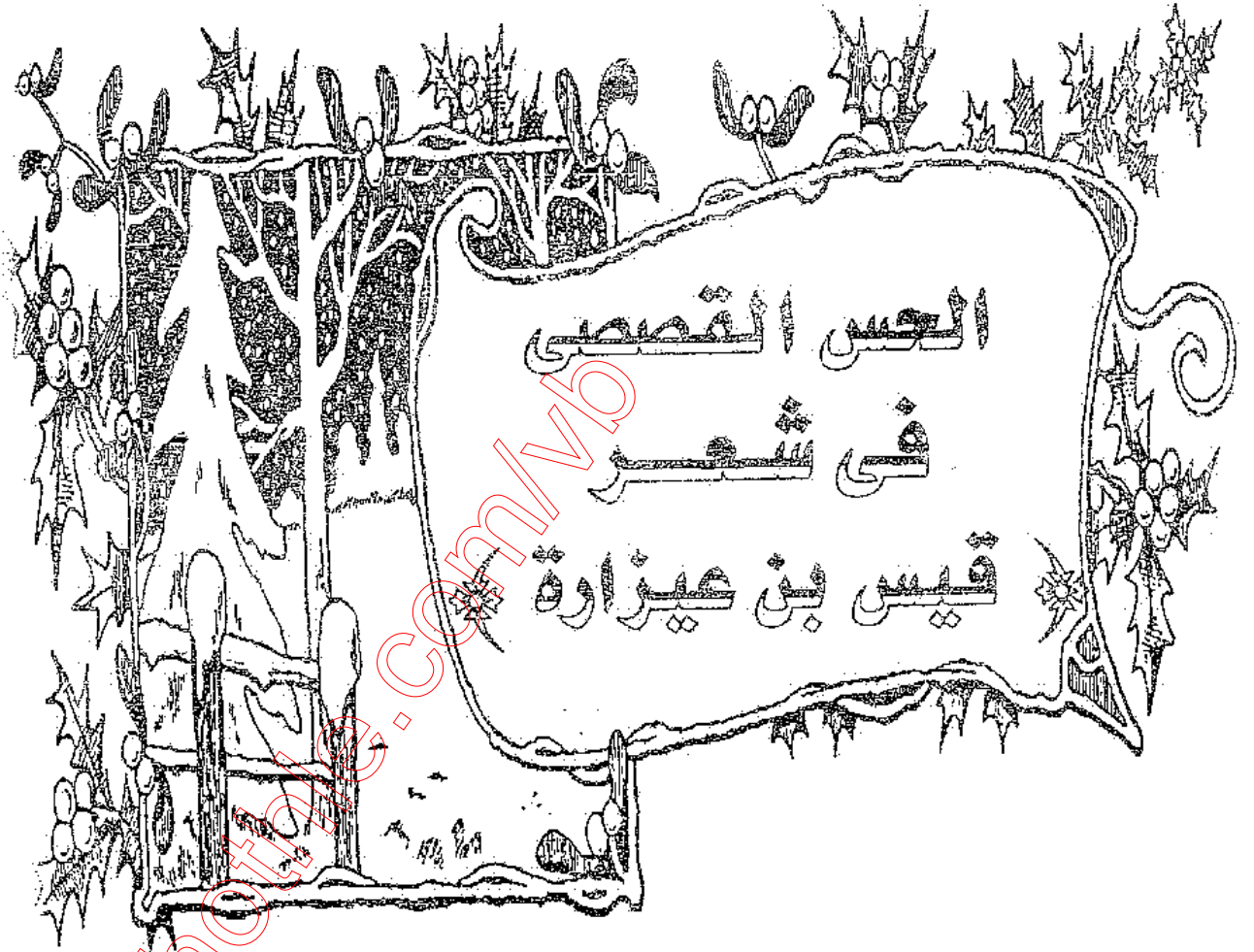
له نسوة عاطلات الصدور عوج مراضيع مثل السعالى

" ونسوة عاطلات الصدور " كناية عن خلوها من الحلى ،

وهو كناية عن الفقر .



abo ghla



www.hotdog.com/vb

قصص قيس بن عيزارة

وعنوانها

﴿إرادة الله﴾

قال قيس بن العيزارة ^(١) يرثى أخاه الحارث بن خويلد في قصيدة وردت بالديوان الجزء الثالث ص ٧٢ وقد بدأها بمقدمة قال فيها :-

يا حـادِ إني يا ابن أم عميد كـمـد كأني في الفؤاد هـيد ^(٢)
والله يشفى ذات نفسي حاجم أبدا ولا همـا أخال لدود ^(٣)
بأبيك صاحبك الذي لم تلقه بعد المواسم واللقاء بعيد

إلى ان يبدأ قصته بالمطلع المعهود عند الهزليين بقوله :

١- هو قيس بن خويلد من شعراء هذيل . والعيزارة أمة ، والحارث بن خويلد أخوه لآبيه وأمه أصابه حبن بمكة فمات ، والحبن إذا استسقى البطن .
(الديوان ج ٣ ص ٧٢ والحبن داء يأخذ في البطن فيعظم منه السان العرب مادة حبن) .

٢- عميد : موجد ، اللهيد : الذي عصره الحمل حتى انفسخ لحمه .

٣- لدود : الدواء في إحدى شقى الغم .

- والله لا يبقى على حدثانة
بقر بناصفة الجواء ركود^(١)
- ظلت بلقعة وخبت سملق
فيه يكون مبيتها وتروود^(٢)
- يوما كان مشاودا ربعية
أو ربط كتان هن جلود^(٣)
- كتب البياض ولا بورك لونها
فهيونها حتى الخواجب سود
- حتى اشب لها واغير نابل
يغري ضوار خلفها ويصيد^(٤)
- في كل معترك تغادر خلفها
زرقاء دامية اليدين تميد^(٥)
- يوما اراد لها المليك نفاذا
ونفاذا بعد السلام يريد^(٦)

• رؤية لغوية :-

بدأت هذه القصة بمقدمة تزيد في عدد أبياتها عن هذه القصة بثلاثة أبيات ، تحدث فيها الشاعر عن اخية ، وعن جلدة ودفاعه ،

١- الناصفة : مطمأن ينبت التمام ، يتصل بالوادي . الجواء : البطن من الارض والواسع من الودية

٢- الخبت والسملق : ما استوى من الارض ، تروود : تجئ وتذهب .

٣- مشاود : عمائم . مفردا : مشوذ ، ربعية : نسبة إلى ربعية .

٤- اشب لها : اتيح لها . اغير : صائد . نابل : ذو نبل . ضواري : كلاب .

٥- زرقاء : كلية . تميد : تميل .

٦- نفاذا : موتها .

وكرمه وحمايته لمن لجأ إليه ، وذكر حالة بعد فقد أخيه وأنه كمد حزين لا علاج له ولا مخرج من حزنه على أخيه .

وبعد ذلك ساق قصته . وهي قصة بسيطة وادعة ، أفكارها بسيطة ، وأحداثها قليلة . وهي تحكى قصة بقرا ، يعيش فى أرض مطمئنة ، واسعة وادعة خصبة . عاشت آمنة مطمئنة ترود وتبيت . لونها أبيض ، كأن بياض جلدهن سيور الكتان .

وسط هذا الجو الملائكى الجميل ، وتلك الأرض الوادعة المطمئنة ، ظهر لها صائد أغبر بنبله ، وكلابه الضاررية ، ولم يكن هذا أول صائد يظهر لها فقد مرت بتجارب عديدة ، ومعارك مريرة خاضتها مع الكلاب قبل ذلك وخرجت منها منصرة :-

فى كل معرك تغادر خلقها زرقاء دامية اليدين قيد ولكن إرادة الله ، قد أرادت فى ذلك اليوم أن تخر ساقطة ، فسقطت . الصائد لم يفعل شيئا ، وليس هناك دماء ، ولا سهام ولا نبال . سكنت عن هذا كله ، وعبر عن النهاية بقوله :-

يوما أراد لها المليك نفاذا ونفاذا بعد السلام يريد

وهكذا انتهت القصة التى ساقها فى رثاء أخيه .

علاقة القصة بموضوع القصيدة :-

الشاعر يبكي أخاه ، وأخاه قد مات ببطنه ، لم يمت في معركة ، ولم يقتله الأعداء غيلة . وإنما أصيب بداء البطن فمات ، هي إرادة الله إذن . وقد جاءت القصة على هذا النمط ، وبصورة الصورة . فقطيع البقر يعيش في هدوء واطمئنان ، لم تنقص مياهه ، ولم يتحرك من مكانه . وإنما أتيح له يوما صائد بنبله وكلابه ، هذا الصائد وهو الموت " أغبير " وقد شاعت إرادة الله أن يموت القطيع في هذا اليوم فمات ، دون مقاومة .

والقصة كما نرى تحكى صورة ما حدث لأخيه ، وتصور طريقة موته كما أراد له ربه .

• الشخصيات :-

صورة الشاعر صورة البقر هنا بصورة وادعة ، اختار لها لوناً ملائكياً وهو اللون الأبيض ، ونص على ذلك فقال " كتب البياض لها ، وبورك لونها " وعيونها سوداء . لو نظرت إليها لرأيت عمائم بيضاء ، أو سيور ككتان . وهي تدافع عن نفسها بكل قوة ، فقد خاضت معارك عديدة ، فخلفت وراءها الكلاب الضارية مضرجة بالدماء . وهذه هي شخصية البقر . وأما الشخصية الثانية

في القصة ، وهي شخصية الصائد . فهي شخصية ترمز إلى هذا المرض الذي أصيب به الحارث بن خويلد ولك فالصائد " أغبير ومعه أدوات فذكه . معه الذبال ، ومعه الكلاب الضارية . هذه هي شخصية الصائد الذي يرمز به للمرض .

• الأحداث :-

ليس هناك في القصة سوى حدث واحد ، فالميساة وادعا مطمئنة بهذا القطيع . إلى أن أتيح له صائد أبادهم . وحتى ذلك الحدث لم يكن بيد شخصية من الشخصيات ، ولا حتى من الصائد ولكن عنصرا خارجا عن الشخصيات وهو " إرادة الله " هي التي وضعت هذا الحدث وبه كانت نهاية القصة .

• الصياغة :-

اعتمد الشاعر في صياغته للقصة على سرد الحوادث ، " بقر بناصفة الجواء ركود " " ظلت ببلعة " وهكذا يمشي الشاعر ساردا للأحداث معتمد على التشبيه تارة وذلك في مثل قوله " يوما كان مشاوذا ربعية " " أو ربط كتان لهن جلود " والكناية تارة أخرى وذلك في قوله " زرقاء دامية اليدين " كناية عن الموت .

• النهاية :-

النهاية هنا فى هذه القصة هى الموت ، كغيرها من القصص . ولكن الموت هنا أتى بطريقة مختلفة . فهو موت دون مقاومة من البقر ، رغم أنهم يملكن القدرة على ذلك ، يملكن القدرة عن الدفاع عن أنفسهن . وجاء الموت دون جهد من الصائد ، فالصائد معه نباله ومعه كلابه ، ولكن سرد الأحداث توقف عند وصف الصائد ولا شئ بعد ذلك ، سوى إرادة الله عز وجل :-

يوماً أراد لها الملك نفاذها ونفاذها بعد السلام يريد
ومن هنا نؤكد على نهاية القصة واختلافها عند الهذليين ،
فليست القصة عن حيوان يصاد ويموت . ولكن النهاية مختلفة باختلاف الموضوع .





www.hanoom.com/vb

abo ghla

www.hanoom.com/vb

قصص أبي كبير الهذلي

قال الشاعر أبي كبير الهذلي ^(١) قصيدة في الشيب والفراق ،
خاطب في مقدمتها ابنته زهيرة ، وابنه خلاوة ، وبدأها بمقدمة
فقال :-

١- أبو كبير الهذلي هو : عامل بن الحليس ، وهو جاهلي ، جاءت ترجمته
في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٧٤ ، والخزانة ٣ : ٤٦٦ طبعة بولاق ،
الاصابة ٧ : ١٦٢ ، والديوان ج ٢ ، ص ١١١ ، وهو احد بنى سعد بن
هذيل ، ثم أحد بنى جريب .

والأبيات نقلاً عن ديوان الهذليين ، ج ٢ ، ص ١١١ ، وقد أشار ابن قتيبة في
الشعر والشعراء عند ترجمته لعامر بن الحليس أن له أربع قصائد أولها كلها
شئ واحد ولا تعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك :

إحداهن : أزهير هل عن شيبة من مخول	أم لا سبيل إلى الشباب الأول
والثانية : أزهير هل عن شيبة من مقصير	أم لا سبيل إلى الشباب المدبر
والثالثة : أزهير هل عن شيبة من مصرف	أم لا سبيل إلى الشباب متكلف
والرابعة : أزهير هل عن شيبة من معكم	أم لا سبيل إلى الشباب متكرم

انتهى كلام ابن قتيبة .

والقصيدة الأخيرة هي موضوع دراستنا ، وقد وردت القصائد السابقة في
ديوان الهذليين .

أزهير هل عن شيبة من معكم أم لا خلود لبازل متكرم
 يبكي خلاوة أن يفارق أمه ولسوف يلقاها لدى المتهم
 أنخلو إن الدهر مهلك من ترى من ذى بنين وأمههم ومن ابنهم
 ثم بدأ فى حكاية قصته ، بد أن حدث ابنته عن الشيب ،
 وحدث ابنه عن الفراق فقال بادياً بما كان يبدأ به الهذليون
 قصصهم :-

والدهر لا يبقى على خدثانه قُبُ يردن بذى شجون مُبرم^(١)
 يرتدن ساهرة كأن جيمهما وعميمها أسداف ليل مظلم^(٢)
 فى مرتع القمر الأوابد أسقيت ديم العماء وكل غيث مشجم^(٣)

١- قُبُ : الأقب ، الضامر ، وجمعه قُبُ بضم القاف . ذو شجون أى ذو
 شعاب تكون فى الحرّة ينبت المرعى مكانها . اليوم : ثم الطلح وأحدثه برمه .
 والمبرم : المجتنى للبرم . وحفى بعضهم بى مجتنى برم الأرال . (لسان
 العرب مادة برم) .

٢- الساهرة : الأرض . الجميم : النبت لم يتم . والعميم : النبت تم وعم .
 سوف الليل ظلّمته ، وجمها أسداف .

٣- القمر : حمر بيض البطون . الديم : جمع ديمة ، وهو المطر ليس فيه
 رعد ولا برق ، وهو المطر الدائم فى سكون . والعماء : السحاب الرقيق .
 مشجم : مقيم .

- واهى العروض إذا استطار بروقه
وكان أصوات الخموش بجوه
عجل الرياح لهم فتحمل غيرهم
فراين قلعة فارس يعدو به
ذو غيث بشريه قداله
وكان أوशल الجدبة وسطها
متبهرات بالسجال ملاؤها
ذات العشاء بهيدب متهزم (١)
أصوات ركب فى ملأ مترنم (٢)
مصطافه فضلات مافى القمم (٣)
متفلق السني نهى المخرم (٤)
إذ كان شغشغة سواد الملجم (٥)
سرف الدلاء من القلب الخضم (٦)
يخرجن من لجف لها متلقم (٧)

١- هيدب : الهيدب الذى يتدلى من السحاب . متهزم : متشقق بالماء .

٢- الخموش : البعوض .

٣- القمم : الدن .

٤- قلعة فارس : رأس فارس . نهى المخرم : عظيم البطن .

٥- فرس ذو غيث : إذا جاء عدو بعد عدوا (لسان العرب مادة غيث) . بئر

كثير القذال : جماع مؤخر الرأس . الشغشغة : تحريك اللجام فى فم الدالة .

وسواء الملجم مساورته إياه .

٦- الوشل بالتحريك : الماء القليل يتحرك من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا

قليلا (لسان العرب مادة وشل) سرف الماء : ماذهب منه فى غير سقى ولا

نفع . يقال : أروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفا (لسان العرب مادة

سرف) الخضم : من الآبار الكثير الماء .

٧- متبهرات : ممثلات . السجل : الدلو الضخمة المملوءة ماءً والجمع =

- فأهتيجن من فزع وطار جحاشها من بين قارمها ومالم يقرم (١)
وهلا وقد شرع الأسنة نحوها من بين محقق بها ومشرم (٢)

• رؤية لغوية :

الشاعر يتحدث عن الشيب والعراق ، وبعد عدة أبيات بدأ قصته كما بدأها غيره من شعراء هذيل " والذهر لا يبقى على حدثانه " ويبدأ في سرد قصته عن حمر وحشية خماس البطون ، وردن أرضاً بها ثمر الطلح ، وردن أرضاً من كثرة نبتها كأنه أسداف ليل مظلم .

هي إذن أرض كثيرة النبات ، وهي أيضاً كثيرة الماء ، كثيرة البعوض بطنينه الذي يشبه تطريب ركب يغنى في الصحراء .

= سجال . ولا يقال لها فارغة سجل ، بل يقال لها دلو . اللجف : الناحية من الحوض أو البئر ياكله الماء فيصير كالكهف . والجمع الجاف . وقد استدل صاحب اللسان بهذا البيت (لسان العرب مادة لجف) تلقم البئر : يعنى صوت الماء من أسفلها .

- ١- القارم : الذي قد فطم فهو يقرم من يقول الأرض .
- ٢- الوهل : بالتحريك الفزع . المحقق : الذي قد أصيب فأحرق الرمية . والمحقق : النافذ إلى الجوف . المشرم : الذي شق بالعرض . والتشريم : أن ينفلت الصيد جريحاً .

وجاءت ريح شديدة ، وجاء معها فارس تسرع به فرس قوية
تجرى جرياً شديداً .

فزعت الحمر الوحشية ، وسرعان ما حصرتها الأسنة ، ما بين
طعنة نافذة في الجوف ، وأخرى قد انفلتت جريحة .

• رؤية فنية :

لقد كرر الشاعر هذا المطلع في أربع قصائد .

أزهير هل عن شبية من معدل ، من مقصر ، من مصرف ،
من معكم . متحدث عن الشيب ، وعن العمر ، والنهاية ، وقد
شغلته هذه القضية في قصائده . وهو في القصيدة التي معنا يسوق
قصة لها ارتباط وثيق بالبداية ، وبموضوع القصيدة .

فهو يتحدث عن حمر وحشية ضامرة ، وردت أرضاً بها ثمر
الطلع ، كثير النبات وكثير الماء ، وكثير البغوض ، ووسط هذا
انجر جاءت ريح شديدة ، وتغيرت الحياة مع قدوم هذه الرياح ،
وصحبها قدوم فارس تسرع به فرس قوية . وعندما حاصرتها
الأسنة ما بين طعنة نافذة في الجوف وأخرى جريحة . الجريحة هي
الشيب ، والنافذة في الجوف هي الهرم والموت .

والعلاقة واضحة بين القصة وموضوع القصيدة .

﴿ الخاتمة ﴾

بعد هذه الدراسة للقصص عند شعراء هذيل ، وتطبيع العناصر القصصية ودراسة تلك القصائد فنيا ، تتجلى أمامنا عدة حقائق نوجزها فيما يلي : -

أولاً : القصة في شعر الهذليين ليست للتسلية ، وإنما هي مقصودة لذاتها يعمد إليها الشاعر ، متخذاً منها قالباً يفرغ فيه موضوعه ، وهي مرتبطة تماماً بموضوع القصيدة وليست لوح منفصلة .

ثانياً : القصة لا تأتي في الرثاء فقط ، ولكنها - كما رأينا من خلال الدراسة تأتي في الرثاء ، وفي الغزل وفي الهجر وفي العربة وغير ذلك وكل قصة تختلف عن غيرها حتى وإن توافقت النهاية بالموت مثلاً ، فإن الأحداث وطريقة الموت تأتي مختلفة طبقاً لاختلاف الطريقة التي مات بها المرثي كما أوضحنا .

ثالثاً : تشكل البيئة عنصراً مهماً في القصة عند الهذليين فالزمان والمكان لم يذكرأ عبثاً في القصيدة (القصة) عند الشعراء الهذلي . إن الشاعر لم يتصادف وجوده بين الجبال والوهاد

فوصفها لمجرد مروره بها . هذه مقولة تحتاج إلى قدر من البلاهة لكي يصدقها ، وحتى الزمان الذي ذكر في القصيدة لم يذكر عبثاً ، بل إن الأماكن التي ذكرها الشاعر ، والتي لم تعد تثير عندنا شيئاً سوى أنها مجرد بلاد أو أماكن ، والتي عرفت لها بمعالم ضائعة ، لم يذكرها الشاعر عبثاً أو لإقامة الوزن . وإنما هي بيئة القصة التي قصد الشعر إليها ليرسم جو القصة . ولذلك اختلفت البيئة في القصيدة الواحدة تبعاً لتغير الأحداث ، وبما يخدم القصة .

وأخيراً : استطاع الشاعر في هذه الفترة المبكرة أن يعطى الشخصية أبعادها بما في ذلك البعد النفسي والجسمي ، وإن جاءت بعض الشخصيات باهتة وغير محددة .

ثامناً : استخدم الشاعر الهذلي ما يعرف بالمونولوج الداخلي في وصف بعض الأحداث التي وقعت في الماضي كما حدث للحمار الوحشي عند أبي ذؤيب وتذكره الرحلات السابقة وما حدث فيها .

سادساً : رفض البحث المقولة التي تقول إن الشاعر عندما صدر القصيدة بقولة (والدهر لا يبقى على حدثانه) قد أعطى نهاية القصيدة في البداية واستطاع البحث أن يثبت أن (الدهر لا يبقى على حدثانه) ما هي إلا " لازمة " صاحبت القصة عند الهذليين . بدليل اتفاق القصص في هذه اللازمة واختلاف النهاية في كل قصة .

سابعاً : فهم الجور العام للقصة يساعدنا في تحديد الألفاظ المشتركة تلك التي فسرت على غير وجهها في بعض الدواوين .

ثامناً : عرف الشعراء الهذليون القصة الاجتماعية ، وعالجوا من خلالها بعض القضايا ، كقضايا اضطهاد المرأة التي لا تنجب ، وقضية الاغتراب وترك الديار والأهل وما شابه ذلك .

ثامساً : في قصص الهذليين رسم للشخصيات ببعدها الجسمي وبعد ها النفسي ، وإن جاءت بعض الشخصيات غائمة وغير واضحة .

عاشراً : نهاية القصة عند الهذليين مختلفة في كل قصة عن غيرها من القصص .

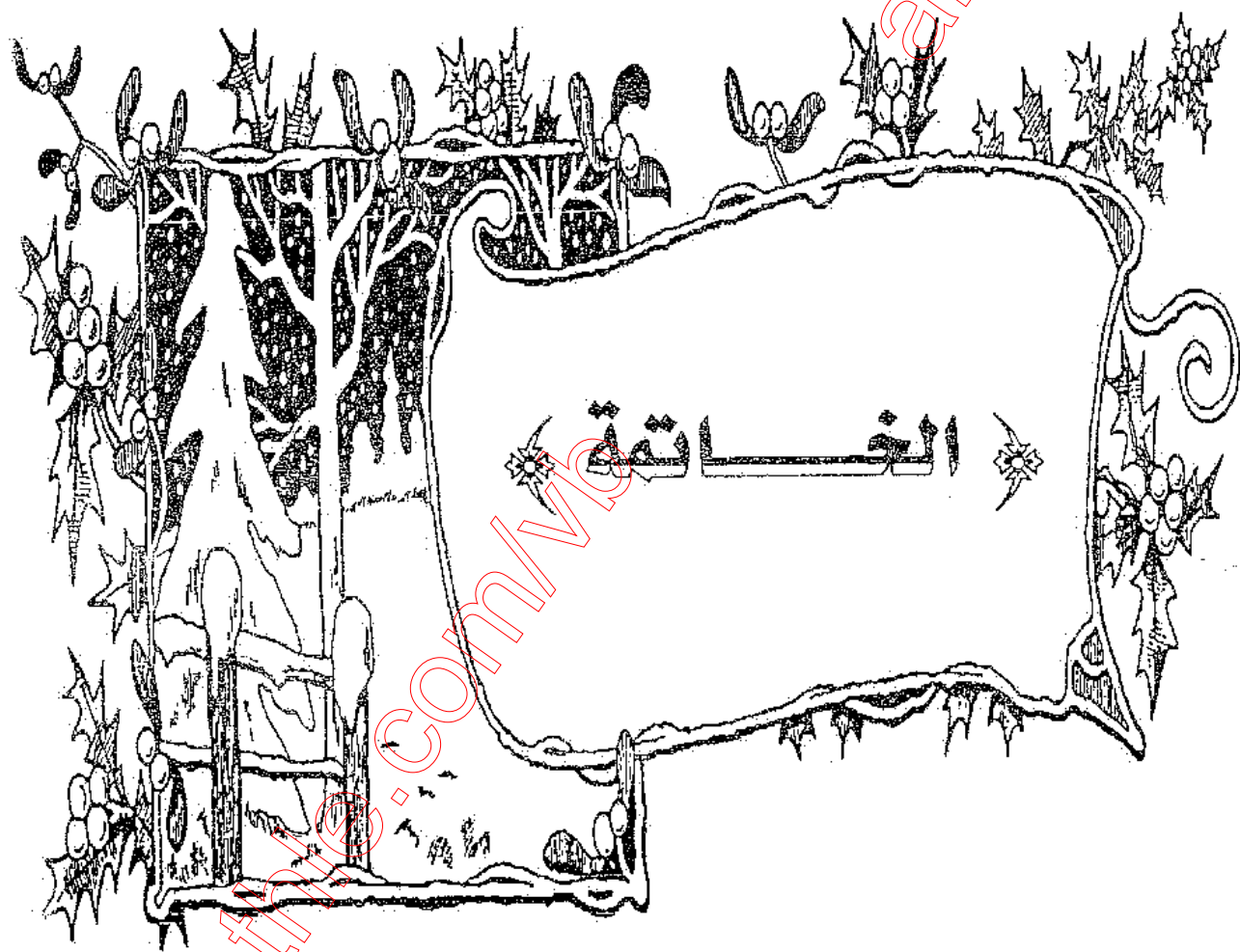
وبعد فهذه خطوة في قراءة تراث الأجداد ، في محاولة لتبسيط هذا التراث والتعرف عليه .

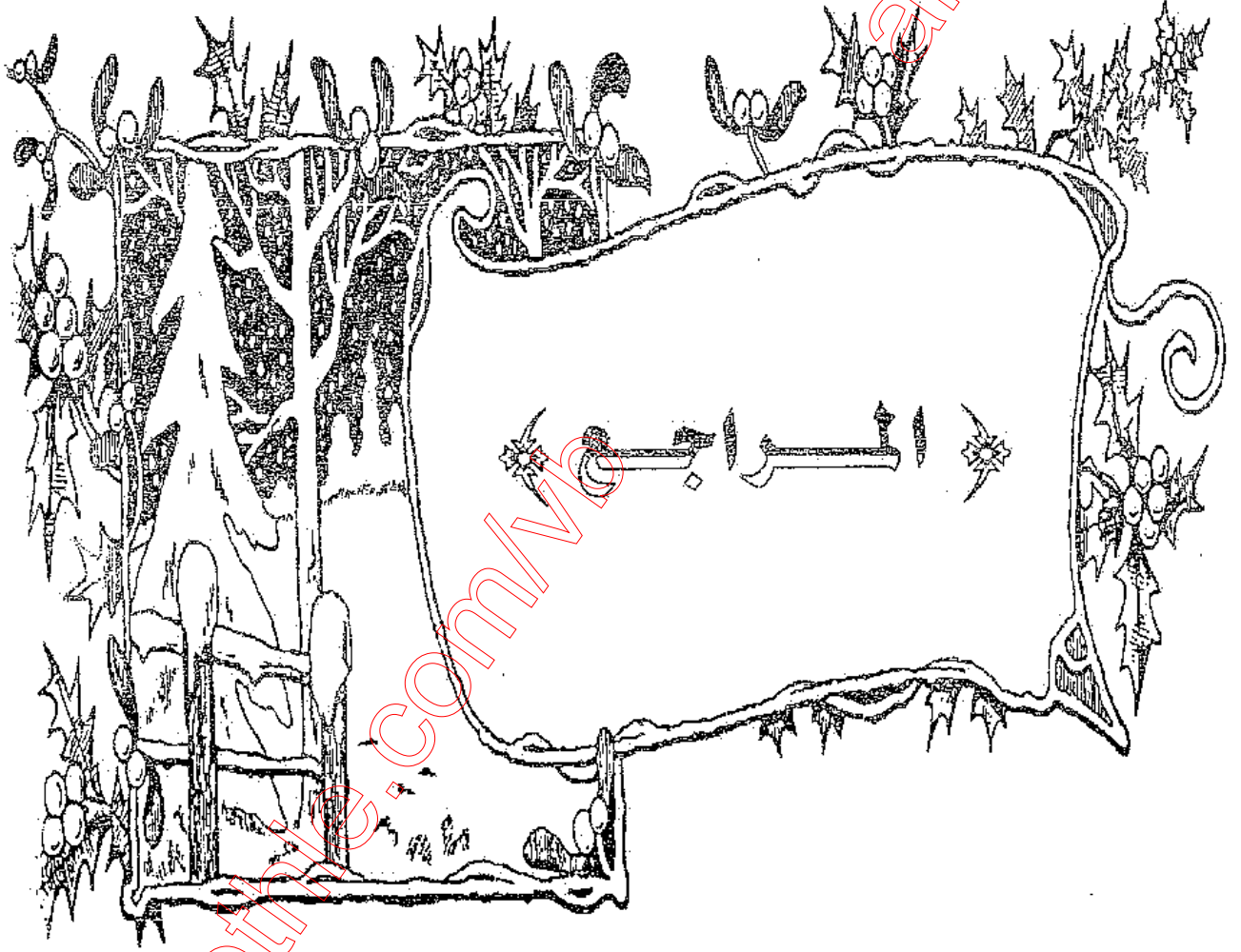
أمل أن تتلوها خطوات منى ومن غيرى بإذن الله .

وعلى الله قصص السيل

المنصورة في ٥ امن شعبان ١٤١٩ هـ / ٤ من ديسمبر ١٩٩٨ م

دكتور / عبد الناصر محمد السعيد



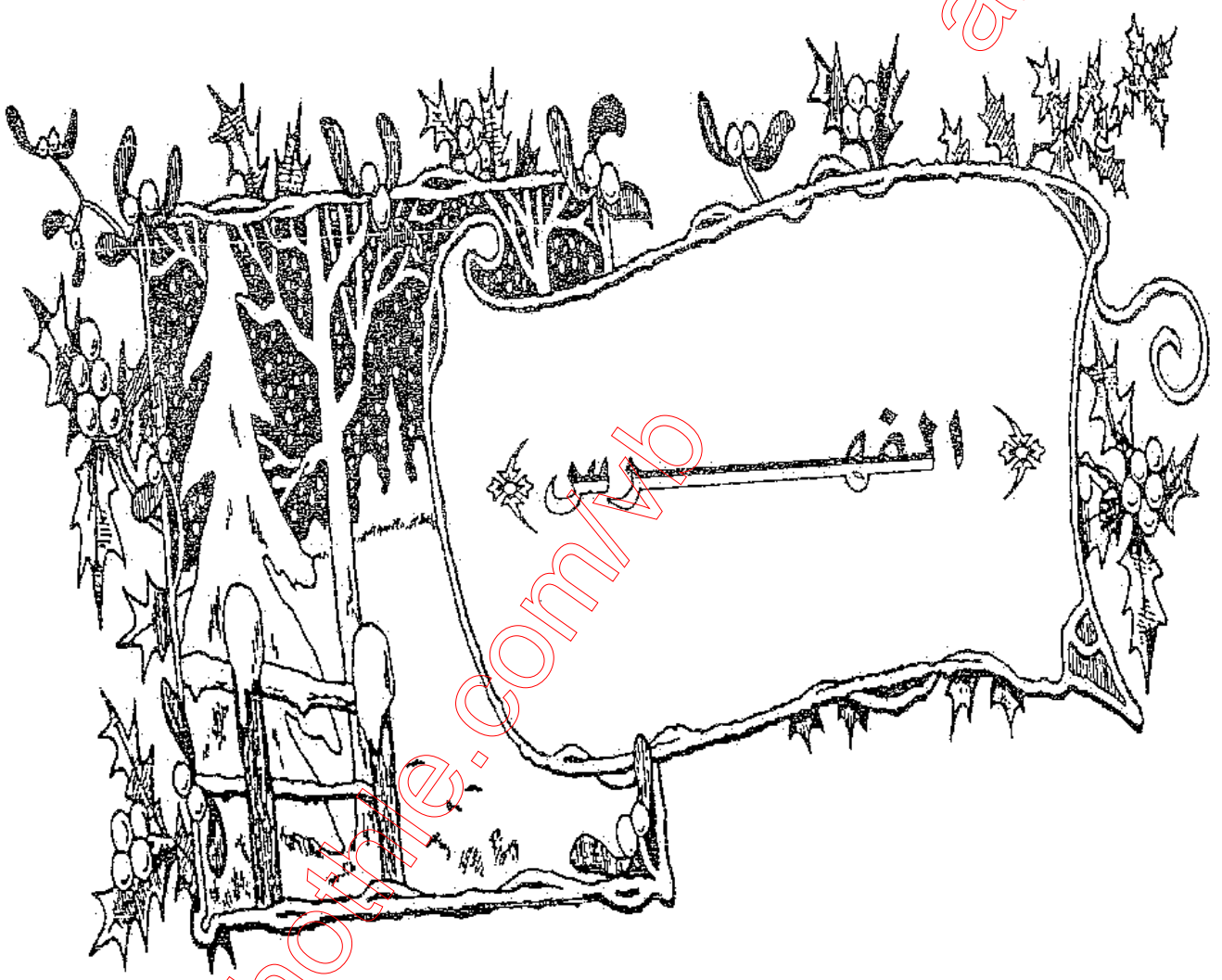


﴿المراجع﴾

١	أصول الأنواع الأدبية	د/ محمد العزب	
٢	الأغنى	الأصفهاني	
٣	آراء حول قديم الشعر وجديده		كتاب العربي الكتاب الثالث عشر (١) أكتوبر ١٩٨٦
٤	بطولة الشاعر الجاهلي	د/ مى يوسف خليف	دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت
٥	البيان والتبيين	الجاحظ	
٦	جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشي	
٧	الحسن القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى	د/ عبد الناصر محمد السعيد	دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع
٨	عزارة الأدب	البغدادى	
٩	ديوان الهذليين	تحقيق أحمد الزين محمود أبو الوفا	الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م
١٠	الرؤى المقنعة نحو منهج بنيموى فى الشعر الجاهلي	كمال أبو ديب	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦

١١	الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي	د/ يوسف خليل	دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة
١٢	شعر الصعاليك منهجه وخصائصه	د/ عبد الحليم حفتي	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م
١٣	الشعر والشعراء	ابن قتيبة	
١٤	الصناعيين	أبو هلال العسكري	
١٥	طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحي	
١٦	العناصر القصصية في الشعر الجاهلي	د/ مى يوسف خليل	دار الثقافة للنشر والتوزيع
١٧	في أصول الأدب	أحمد حسن الزيات	
١٨	القصة الشعرية في العصر الحديث	د/ عزيزة مريدن	دار الفكر طبعة أولى ١٩٨٤م
١٩	القصة الغريبة في العصر الجاهلي	د/ على عبد الحليم محمود	دار المعارف ط ٢ ١٩٧٩م
٢٠	القصة من خلال تجاربى الذاتية	عبد الحميد حوده السحر	دار مصر للطباعة
٢١	القصة والرواية	د/ عزيزة مريدن	دار الفكر ١٩٨٠م
٢٢	لسان العرب	ابن منظور	

abogha



www.hou.com

﴿ الفهرست ﴾

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
قصص أبي ذؤيب الهذلي	٩ : ٨١
القصة الأولى " جون السراة "	١١
القصة الثانية " الثور "	٣٦
القصة الثالثة " قصة الفارس "	٥١
قصة أم عمرو	٦٢
قصص ساعدة بن جؤية من (٨٥ : ١٤٩)	
القصة الأولى	٨٥
صياغة جديدة للقصة	٩٩
بين ساعدة وأبي ذؤيب	١٠٥
القصة الثانية " نهاية العمر "	١١٢

١١٣	(أ) قصة الوعل
١٢٤	(ب) قصة قطيع البقر
١٢٩	(ج) جماعة الأنس
١٣٤	بين ساعدة بن جؤية وأبي ذؤيب
١٣٧	القصة الثالثة " غضوب "
١٥٣ : ١٦٧	قصص أسامة بن الحارث
١٥٣	" اغتراب "
١٦٧ : ١٨٧	قصص أمية بن أبي عائد
١٦٧	طيف الخيال
١٨٧ : ١٩٢	قصص قيس بن عيزارة
١٨٧	إرادة الله
١٩٥ : ١٩٩	قصص أبي كبير الهذلي
١٩٥	في الشيب والفراق
٢٠٣	الخاتمة
٢٠٩	المراجع